الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة محمد الصديق بن يحيي – جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

العنوان:

التحليل النقدي للخطاب السياسي في خطاب "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة" "محفوظ نحناح" أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- فجرية مزان
- سلسبيل قريقة

إشراف الأستاذة:

كريمة تيسوكاي

أعضاء المناقشة:

الاسم	الجامعة	الصفة
نسيمة حارش	جامعة جيجل	رئيســــــــا
كريمة تيسوكاي	جامعة جيجل	مشرفا ومناقشا
أ.د.فيصل الأحمر	جامعة جيجل	مناقشــــــــا

السنة الجامعية: 2021–2022م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

الشّكر لله أوّلا أن وفّقنا لإنجاز هذا البحث، ثمّ لأستاذتنا الفاضلة

"كريمة تيسوكاي" التي كانت سندا وعونا لنا في إنجاز هذا البحث،

ونشكر الدكتور "عماد عبد اللّطيف"على ما قدّمه لنا من كتبه ومقالاته،

تصّب في موضوع عملنا.

الشّكر إلى كلّ من ساهم بكلمة أو كتاب أو فكرة، أو دّل على وسيلة لتسهيل

هذا الإنجاز.

الشكر إلى أولئك الّذين ابتهلوا إلى الله سرّا وجهرا طالبين لنا العون والتّوفيق.

الشّكر إلى من دلّنا إلى باب الابتدائية حتّى وصلنا إلى الجامعة.

شكرا لكم جميعا وجزاكم الله كلّ خير.

وصلّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إهداء

الحمد لله نور السماوات والأرض

والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى سيد الخلق

أهدي عملي هذا للوالدين الكريمين ولجميع العائلة والأصدقاء

إلى شموع العلم أساتذتي في جميع الأطوار الدراسية والجامعية

أتمنى أن يرقى هذا العمل إلى مستوى تطلعاتي وتطلعات كل من يقرأ هذه المذكرة وأن يكون إضافة وإفادة له.

والله ولي التوفيق

فجرية

إهداء

إلى كل من له مكان في قلبي

أمي أبي

أخواتي وإخوتي

أقاربي وقريباتي

إلى صديقتي "آمال"

سلسبيل

مقـــــدّمة

مقدمة

انصّب اهتمام الباحثين في وقتنا الراهن على دراسة النصوص وتحليل الخطابات بأنواعها، نظرا لأهمية الخطاب في بناء الفرد والمجتمع، وتميزه بخاصية السياق المرتبط بالظواهر الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فتحليل الخطاب كتخصص معرفي أعاد الاعتبار للسياق كأحد المؤشرات المهمّة التي يمكن أن تغيّر من مقاصد الكلام، فدراسة الخطاب كأحد أشكال الممارسة الاجتماعية التي يخلق سلطة اجتماعية وسياسية أدى إلى انبثاق فرع جديد عن تحليل الخطاب، أطلق عليه المختصون اسم "التحليل النقدي للخطاب"، حيث يشتغل هذا الأخير على الخطابات الإيديولوجية المتعلقة بمصالح السلطة وأهدافها.

يعدّ التحليل الخطاب من المجالات المعرفية والعلمية التي استأثرت ولا تزال اهتمام الباحثين، خاصة بعدما تنوعت وتداخلت مشاربه من العلوم الأخرى كالعلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك لمكانة الخطاب في حياة الفرد والمجتمع، وعلاقته المتلاحمة بالظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وارتباطه بسياقات مختلفة غير مرتبطة بمستويات اللغة، هذه الأخيرة التي يمكن دراستها في بنية مغلقة ما يؤدي إلى دراسة تحليلية تتعلق بجوانب جمالية دون الخوض في مضمرات الخطاب وتفسيراته وتأويلاته والتي يعمل السياق بشكل كبير على فهمها على النحو الذي ترتبط فيه اللغة بأطراف العملية التخاطبية والسياق الذي قيل فيه هذا الخطاب، لهذا السبب يأتي تحليل الخطاب كتخصص معرفي يعيد الاعتبار للسياق كأحد المؤشرات المهمة التي يمكن أن تغير من مقاصد الكلام، فدراسة الخطاب كأحد أشكال الممارسة الاجتماعية التي يخلق سلطة اجتماعية وسياسية أطلق عليه المختصون باسم "التحليل النقدي للخطاب"، حيث يشتغل هذا الأخير على الخطابات الإيديولوجية المتعلقة بمصالح السلطة وأهدافها في السيطرة على الجمهور وآرائه، وهنا تبرز أهمية موضوعنا في دراسة خطاب مؤدلج يرتكز بشكل كبير على العامل السياسي والوضع الاجتماعي داخل المجتمع الجزائري في مرحلة مهمة من مراحل التاريخ الجزائري المعاصر، وكذا لما تتميز به هذه الخطابات السياسية بلغة إيحائية مشفّرة.

وقد اخترنا موضوع بحثنا الموسوم بـ**"التحليل النقدي للخطاب السياسي محفوظ نحناح أنموذجا"** والذي من خلاله نطرح تساؤلا رئيسا مفاده: **ما هي مقومات الخطاب السياسي والإستراتيجية الخطابية المتّبعة في بناء المقاصد والدلالات في خطبة "دور الحريات في بناء الدولة الحديثة" لمحفوظ نحناح؟.**

ويجرنا هذا التساؤل الجوهري إلى مجموعة من التساؤلات الفرعية نصيغها كالآتي:

- ما المقصود بالخطاب السياسي وما هي خصائصه اللغوية والفنية؟.
- ما هي آليات التحليل النقدي للخطاب السياسي؟.
- كيف أسهم السياق في بناء مقاصد الخطبة السياسية عند محفوظ نحناح؟.
- ما هي آليات التشكيل اللغوي والبلاغي في الخطبة السياسية عند محفوظ نحناح؟.
- ما هي محددات الإستراتيجية الخطابية البانية للخطبة السياسية عند محفوظ نحناح؟.

ننطلق في دراستنا هذه من فرضية أنّ الخطاب بشكل عام والسياسي بشكل خاص هو من يصنع الواقع ولا يوجد خطاب محايد أو منصف، فالخطاب إيديولوجي بطبيعته تربطه علاقة وثيقة بالسلطة، ويُستعمل من أجل تحقيق غايات معيّنة اعتمادًا على استراتيجيات تشتغل على بناء موضوع الخطبة السياسية، وطريقة صياغة اللّغة على مستويات متعدّدة، وعامل السياق والحدث أحد العناصر المهمة في التحليل النقدي للخطاب السياسي.

وبغية الإجابة على إشكالية الدراسة ومختلف التساؤلات، تناولنا البحث في مدخل وفصلين مسبوقين بمقدمة، فأمّا المدخل فتناولنا فيه أهم المفاهيم النظرية المرتبطة بموضوع الدراسة، انطلاقا من الجملة إلى لسانيات النّص ثم تحليل الخطاب وصولا إلى التحليل النقدي للخطاب والخطاب السياسي، وأمّا الفصلين فكانا تطبيقيين الأوّل بعنوان "آليات التشكيل اللّغوي والبلاغي في خطبة محفوظ نحناح" وتضمن مبحثين الأوّل تناولنا فيه الصياغة البلاغية للخطاب السياسي، والثاني تطرّقنا فيه إلى حجاجية الخطاب السياسي وأساليب الإقناع، فيما يخص

الفصل الثاني المعنون بـ"إستراتيجية البناء الخطابي السياسي عند محفوظ نحناح" فقد اشتمل هو الآخر على مبحثين الأول تطرّقنا فيه إلى الظواهر الخطابية للخطاب السياسي، والثاني تناولنا فيه بلاغة الجمهور، هذا وقد خلصا بحثنا هذا إلى خاتمة أجملنا فيها أهم النقاط التي توصلنا إليها.

ونظرًا لطبيعة موضوع دراستنا فإننا اعتمدنا على منهج التحليل النقدي للخطاب، الذي جاء به "عماد عبد اللّطيف" في مقارباته النّصيّة الخطابية والاجتماعية والملائم لهذه الدراسة، هذا من جهة أمّا من جهة أخرى فالتحليل النقدي للخطاب يحظى بأهمية كبيرة في الدراسات المعاصرة حيث أصبح من أكثر التخصصات حضورا في الساحة العربية المعاصرة إذ لا تزال ترجمة دراساته الغربية مستهدفة من طرف الباحثين العرب ليومنا هذا.

وقد وقع اختيارنا على خطاب نحناح بعنوان: "دور الحريات السياسية لبناء دولة حديثة الذي ألقاه في ولاية تيزي وزو سنة 1993م من شهر أكتوبر، وذلك لعدة أسباب، منها ما هو موضوعي، ويتعلّق الأمر بحداثة الموضوع، وقلّة الدراسات الأكاديمية التي تشتغل على الخطاب السياسي من منظور تحليل نقدي للخطاب، أمّا السبب الذاتي فيرجع إلى رغبتنا الملّحة في الاقتراب أكثر من موضوع التحليل النقدي للخطاب، بالإضافة إلى إعجابنا الخاص بخطابات الراحل محفوظ نحناح لما يتميز به من أهمية في زيادة الوعي وفهم الواقع واكتشاف المتلقي لأساليب الخطابات السياسية المؤدلجة.

تبرز أهداف هذه الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

- تقديم الأساليب الجديدة لتحليل الخطابات.

- إبراز أهمية وقيمة الخطابات في التحام الشعوب أو تشتّتها.

- تقصي خفايا الإيديولوجية الضمنية الموجودة في خطاب محفوظ نحناح وأهم الأساليب المضللة التي استعملها.

أمّا عن أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في جمع مادة بحثنا فتتمثل في كتب "عماد عبد اللّطيف" ككتاب (لماذا لا يصفق المصريون)، كتاب (بلاغة الجمهور في الأدب: مفاهيم وتطبيقات)، كتاب (حروب بلاغية)، إضافة إلى كتاب "نورمان فيركلف" (اللغة والسلطة)، وكتاب "فان دايك" (الخطاب والسلطة).

ومن أهم العراقيل التي واجهتنا خلال مسيرة بحثنا في التحليل النقدي للخطاب، أنّه كان موضوع متشعب يطلّ على عدّة معارف ومناهج، ممّا يصعب الإلمام به في فترة وجيزة وفهم أغواره والتطبيق عليها، كما أنّه موضوع جديـد الاشتغال عليـه في الساحة العربية والجزائرية خاصة، بالإضافة إلى جدّة موضـوع الدراسة ممّا صعّـب علينا استيعابه وفهمه والغوص فيه، ما أوقعنا في مشكلة الاقتضاب المعرفي داخل البحث.

ختاما نحمد الله عزوجل ونشكره لتوفيقه لنا في إتمام بحثنا هذا آملين بأن نكون قد وفقنا في تقديم إضافة ولمسة جميلة لهذا الموضوع تخدم الدارسين والمشتغلين عليه، موجهين جزيل الشكر لأستاذتنا المشرفة "كريمة تيسوكاي" التي رافقتنا رحلة البحث بعطائها السخي ونصائحها وتوفيرها لنا المصادر والمراجع وصبرها علينا عند صعوبة فهمنا كما نشكر الدكتور "عماد عبد اللّطيف" على تواصله معنا، وخدمته لنا بإرسال كتبه ومقالاته الّتي أنارت لنا طريق البحث، كما نشكر كل من ساعدنا ووجهنا في إنجاز هذا البحث أساتذتنا الأفاضل في قسم الأدب العربي وكذلك كل العائلة التي سهرت معنا ودفعت بنا كلما فشلنا، ونلتمس العذر من القارئ الكريم من كل خطأ أو نقص في بحثنا دون قصد منا، فالخطأ والنسيان من صفات الإنسان ليبقى الكمال للخالق العظيم الذي نسأله السداد والتوفيق.

مـدخـــــل

أولا– من الجملة إلى لسانيات النّص.

ثانيا– مفهوم تحليل الخطاب.

ثالثا– التّحليل النّقدي للخطاب.

رابعا– مفهوم الخطاب السيّاسي.

أولا– من الجملة إلى لسانيات النّص:

حظيت الجملة باهتمامٍ كبيرٍ من طرف اللّغويين لما وصلت إليه اللّسانيات الحديثة إلى ذروة أبحاثها حول الدّرس اللّغوي، الذي حقّقت فيه نتائج عالية الدّقة وشاملة لدراسة أي لغة ونظمها، غير أنّ هاته النتائج جاءت محدودة الأفق لغويًا؛ إذ لم تتمكّن من وضع إجابات شافية لكلّ القضايا اللّغوية مثل الدّلالة والسياق باعتبار الجملة وحدة لغوية كبرى، فهناك «**بعض العلاقات اللّغويّة بين الجمل التي تكوّن النّص قد تكون روابط تماسكية نحوية وهنا يمكن الاستفادة من لسانيات الجملة أو النحو، وقد تكون روابط الجمل في إطار معطيات اللّسانيات النّصية، كما يمكن استثمار النحو. وتوظيفه نصيًا وهنا بدأ يظهر القصور والانسداد في منهج لسانيات الجملة نظرًا لعنايته لكشف آليات التماسك داخل النّص**»[1].

لحق لسانيات الجملة قصورًا في الوصف اللّغوي من خلال الرّبط بين أبعاد الظاهرة اللّغويّة وما نتج عنه من فصل بين الفائدة التركيبية والتواصلية، وذلك يعود لضيق مساحة اشتغالها، تقتصر على الجملة فقط انطلاقًا من فكرة «**أنّ الجملة عبارة عن فعل وفاعله (الفعلية) وما كان مصدرها اسم (مركب اسمي) والمصدر بظرف (مركب ظرفي)، حيث أحدث هذا التوسع ابتعادًا عن الفائدة التواصلية للجمل والقدرة التأثيرية لها. وكذا افتقار الجملة إلى مبدأ الترابط الجملي (النصي) مع الجمل التي قبلها وبعدها**»[2]، حيث أنّ هذا الترابط هو الذي يحقّق لنا الاتساق في التتابع الجملي كوحدة تامة، فالتماسك ضرورة حتمية بين الجمل إذ كل جملة تحتوي على حلقة وصل بين الجملة التي قبلها والجملة التي تليها، فهذا الحيّز الضيّق الذي تقوقعت فيه لسانيات الجملة لوّح بعجزها النّصي ونادى لمرحلة جديدة في اللّسانيات، تهتم بالوحدات اللّغوية في فضاء أوسع من الجملة هدفها

1– رشيد عمران: مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص _قراءة في بدايات ودواعي التأسيس والمساهمات العربية في اللّسانيات النصية_، مؤتمر لسانيات النّص وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013م، ص 382.

2– ينظر: عدنان ثامر: لسانيات النّص وتحليل الخطاب، _مفاهيم وأبعاد_، كلية الآداب واللّغات، قسم اللّغة والآداب العربي، مسيلة ،الجزائر، دت، ص3.

وضع أسس لإنتاج النّص وضبط مكوناته أطلق عليها النّقاد مصطلح لسانيات النّص. حيث أكملت هاته الأخيرة ما جاءت به لسانيات الجملة مركزة على وضع قواعد دقيقة تساعد الباحث في دراسة أبنية النّص بدقة وبيان دلالتها. فالجملة داخل النّص «**تعتبر دلالة جزئية، حيث لا تتضح الدّلالة الحقيقية إلاّ بشمولية النّص. أي مراعاة دلالات التسلسل الجملي**»[1]، فقيمة الجملة جزئية لا يعتمد عليها في الحكم الكلّي للنّص إلاّ إذا اشتركت مع القيمة الكبرى التي يدور في فلكها النّص «**فلسانيات النّص تعنى بالنّص كبنية كليّة تسعى إلى تفسير النّصوص وفق قواعد تركيبية ومنطقية**»[2]، في قالب تحليلي لبنية النّص، كما ركّزت على «**ظواهر نصّية مختلفة منها علاقات التماسك وأبنية التطابق والتقابل والتراكيب المحورية والتراكيب المتجزئة، وحالات الحذف، والجمل المفسّرة، والتحويل إلى الضمير. والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، إنّها تسعى من خلال تحليل الخطابات التي لا يمكن تفسيرها تفسيرًا كاملاً دقيقًا إلاّ من خلال وحدة النّص الكليّة**»[3]، فلسانيات النّص تسعى لدراسة بنية النّص ووصفها وكشف كل تماسك نصي وجد فيه أو تغيير طرأ عليه من استبدال أو تكرار أو إحالة فهي تهدف لمعرفة القواعد التي تنظم أبنية النّصوص للتفريق بين النّص واللانص. وأيضًا تبين اللّغة أثناء عملية التواصل الاجتماعي من خلال رصد دلالات التماسك بين النّص والسياق التواصلي الخاص به عن طريق حصر النص نحويا بقواعد محددة للغة المستعملة فيه؛ أي تحديد الأبنية اللّغوية وكيفيّات ترابطها باعتبارها وحدات لسانية تتحكّم فيها قواعد إنتاج متتاليات بنية النص باعتباره ملفوظًا أو كلامًا مكتوبًا.

أقامت لسانيات النص أبحاثها ودراساتها على ما يعرف بالنّص أو الخطاب، حيث عند ذكر هاذين المصطلحين: النص/ الخطاب يتوجب علينا الفصل بينهما في التعريف المنهجي لاختلاف النّقاد في الجمع والتفريق

1- ينظر: عدنان ثامر: لسانيات النّص وتحليل الخطاب، -مفاهيم وأبعاد-، ص 4.
2- رشيد عمران: مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص، ص 385.
3- المرجع نفسه، ص 386.

بينهما. لكن أغلب اللّغويين يتفقون على أنّ النّص هو الجزء الخارجي؛ أي الجانب الشكلي للنّص، في حين الخطاب هو الجزء الداخلي أي الممارسة الفعلية للنّص.

فالمصطلح الأنسب هنا هو مصطلح الخطاب الذي شاع استعماله في حقل الدراسات اللّغوية والعلوم الإنسانية والاجتماعية من إقبال الدّارسين والباحثين عليه، المعروف بكيانه المتجدّد جامعًا مادته من مختلف العلوم المعرفيّة والمقاربات المواكبة له.

فصار يطلق عليه بمصطلح تحليل الخطاب، الذي بات الإحاطة به أمرًا شاقًا نظرًا لغزارة العبارات والدّلالات التي تصب حوله بآراء متباينة، ممّا توجب علينا العودة إلى التأصيل اللّغوي والاصطلاحي والوقوف على أهم التعريفات اللّغوية والاصطلاحية التي وضعها كبار المنظرين والباحثين في الثقافة العربية والغربية حتّى نحدّد معالم هذا المصطلح –تحليل الخطاب– ورصد أهم خصائصه.

ثانيا– مفهوم تحليل الخطاب:

1– المفهوم اللّغوي للخطاب:

ورد لفظ الخطاب المشتق من مادة خطب (خ. ب. ط) في "لسان العرب" الذي فصّل فيه "ابن منظور" فيقول فيه: «**والخَطْبُ: الأمر الذي تَقَعَ فيه المُخَاطَبة، والشأنُ والحال؛ ومنه قولهم: جَلَّ الخَطْبُ أي عَظُمُ الأمرُ والشأنُ، والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مُخَاطبةٌ وخِطَابًا، وهما يتخاطبان. اللَّيْث: والخُطبَة مصدرُ الخطيب، وخطب الخاطِبُ على المنبر، واخْتَطَبَ يَخْطُبُ خَطَابَةً، واسمُ الكلامِ: الخُطبَة ... وهو أنّ الخطبة اسم للكلام، الذّي يتكلَّمُ به الخطيب، فيوضع المصدر ... وذهب أبو إسحاق إلى أنّ الخطبة عند العرب: الكلامُ المنثورُ المُسَجَّعُ. ونحوُه. التَّهْذيبُ: والخُطبة مثلُ الرّسالـة،**

التّي لها أوَّلٌ وآخِرٌ»[1].

وفي كتاب "العين" لم يخرج "الخليل الفراهيدي" في شرح مفهوم الخطاب عمّا ذهب إليه "ابن منظور" يقول الخطاب: «**مراجعة الكلام، والخطبة مصدر الخطيب. كان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخطبة قام في النادي فقال خطب، ومن أراده قال نكح**»[2].

أمّا في "أساس البلاغة" لـ "الزمخشري" في مادة "خَطَبَ": «**خاطبه أحسن الخِطاب وهو المواجهة بالكلام، وخَطَبَ الخطِيبُ خُطبة حسنة. وخَطَبَ الخَاطِبُ خِطبة جميلة [...] واخْتَطَبَ القوم فلانا: دعوه إلى أنْ يخطب إليهم**»[3].

كما وتكرّر ذكر لفظ الخطاب في القرآن الكريم بعدد اثنتي عشرة مرة[(4)]، ونذكر على سبيل المثال في سورة "ص" في الآية 20 بقوله تعالى: ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾**﴾[5].

وأيضًا في سورة الفرقان الآية 63 في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا**﴾[6].

1- جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، تح: عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص 1194، مادة (خَطَبَ).

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، الجزء الأوّل: الخاء، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص419.

3- عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم، شوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص 203، مادة (خَطَبَ).

4- محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، دار الكتب المصرية، مصر، 1943م، ص 235. باب الخاء، مادة (خطأ. خ. ف. ق).

5- سورة ص، الآية 20.

6- سورة الفرقان، الآية 63.

وفي سورة النبأ الآية 37 قوله تعالى: ﴿**رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا** ﴿٣٧﴾﴾[1].

نلاحظ من خلال السياق القرآني للآيات المذكورة أعلاه أنَّها تحيل على أنّ الخطاب يقصد به الكلام البيّن الواضح. ونجد نفس الأمر في المعاجم العربيّة سابقة الذكر التي وردت في مادة (خَطَبَ).

أمّا إذا عدنا للمعاجم الغربية لتقصي ترجمات مصطلح الخطاب، نجد له ترجمة (Discours) والتي معناها في معجم "أكسفورد" الإنجليزي: «**حديث، محاضرة، مقالة، يحاضر، يتحدث أو يكتب بإسهاب**»[2]، في حين وردت في معجم "المصطلحات الأدبية الحديثة «**ومعناه اللّغة المستخدمة أو استخدام اللغة(Langage in use) لا اللّغة باعتبارها نظامًا مجرّدًا**»[3]؛ أي أنّه اللّغة عند استخدامها والتي أطلق عليها "دي سوسير" مفردة الكلام.

كما نجد للخطاب تعريفات قدمها النّقاد الغربيين، فنرى كل من "مارين جونسن" " Marianne Jorgensen" و"لويس فليبس" "Louis Philips" في معجم "تحليل الخطاب" المسمى " Discourse Analysis theary méthod " بأنّه: «**انتظام اللّغة انطلاقا من مختلف النماذج التي تتبعها منطوقات النّاس عندما يأخذون حيّزًا من مختلف مجالات الحياة الاجتماعية**»[4]، أي أنّ لغة النّاس المنطوقة والمتعامل بها في الواقع الاجتماعي تدخل فيما يسمى الخطاب.

1- سورة النبأ، الآية 37.

2- Y.A.El- Ezabi and A.S.Hormby and E.C. Parnwell, Oxford Englich Arabic Reader's Dictionary, Oxford University, Press, 1980, Edition : 11, p 196.

3- محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة دراسة ومعجم إنكليزي عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، ط3، 2003م، ص 19.

4- Marianne Jorgensen Louis Philips, Discourse Analysis as theary and method. SAGE, publications, First publishd, London _thousand Oaks_ New Delhi, 2008, p12.

وأشار إليه "أندريه لالاند" "La lande" في معجمه الفلسفي بأنّه: «**عملية فكرية تجري ضمن سلسلة أولية جزئية ومتتابعة بنحو خاص تعبيرًا عن الفكر وتطويرًا له بسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة**»[1]، أي الخطاب هو عملية فكرية مخزنة في الذهن يتم ترجمتها بسلسلة كلمات لغوية منطوقة.

نستخلص ممّا سبق أنّ المفهوم الدلالي اللّغوي للخطاب عربيا أو غربيا يدور في حيّز الكلام المنطوق المتبادل بين النّاس في صورة حوار؛ أي بين طرفين هُما المخاطب (المرسل) والمخَاطِب (المرسل إليه) ليحدث بينهما عملية تواصلية.

– المفهوم الاصطلاحي للخطاب:

غالبًا ما نجد المفهوم اللّغوي يضع اللّبنة الأولى للمفهوم الاصطلاحي، ذو توجه معرفي واحد. حيث رأينا مصطلح الخطاب في بعده اللّغوي يدلّ على الكلام الموجه من شخص لآخر محصورًا في الكلام المنطوق. لينطلق منه الخطاب في بعده الاصطلاحي لكن بانفتاح أكبر وأوسع لما شهد من تعريفات كثيرة متقاربة ومتباعدة من حيث المعنى، ويعود سبب هذا لتعدّد المدارس والتوجهات بتفرعاتها النقدية التي اهتمت بالخطاب وجعلته محور دراستها، لينتج في فلك الخطاب مفردات وتسميات جديدة كالسياق والسلطة ... وغيرها من التسميات المقتاتة من باقي العلوم والمعارف المُرتبطة بالخطاب الذي سنرصد أهم التعريفات الواردة فيه كالتّالي:

1– الخطاب والملفوظ:

من أهم النّقاد الذين خصّصوا مساحة واسعة لمصطلح الخطاب نجد النّاقد الغربي "زليج هاريس" "Zellig Harris"، حيث اقترح بأن يتواجد في اللسانيات جانبًا يدرس الكلام من الناحية التوزيعية والترتيبية

1– أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، ج1، تر: خليل أحمد خليل وأحمد عويدات. منشور عويدات، بيروت، 1996م، ص 287.

وربط أجزاءه التي يتشكل منها الخطاب، ليطلق على هذا الأخير (الخطاب) مصطلح "الملفوظ Enonce" باعتباره كل جزء من أجزاء الكلام التي يتحدث بها المتكلم. إذ قام بتطبيق نظرته التوزيعية على مفهوم الخطاب بقوله: «**ملفوظ طويل. أو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض**»[1]، نرى أنّ "هاريس" جعل من الخطاب مجموعة متماسكة من العناصر يتلفظها المتكلّم مُشكّلة صورة نسق (نظام) معيّن ترمز لبنية خطابية معينة الذي سرعان ما ألحقه بتعريف أشمل لمفهوم الخطاب، فيعرّفه بأنّه سلسلة من الجمل المترابطة والمتجانسة فيما بينها منتجة لنا نصًا متكامل الأجزاء.

حيث أكّد "بيرف زيما" "Pierrev Zima" ما أ أشار إليه "هاريس" حول الخطاب، فيقول بأنّه: «**وحدة أكبر من الجملة. تولد من لغة جمالية وتعبر بنيتها الدلالية كبنية عميقة جزءًا من شفرة، ويمكن تمثيل مسارها التركيبي النحوي بواسطة نموذج تشخيصي سردي**»[2]؛ أي أنّ الخطاب هو تتالي الجمل مشكلاً بنية. فالتوالي الصوتي _الملفوظ_ عند "هاريس" و"زيما" يقتصر على الكلمة والجملة أو مجموعة من الجمل.

2- الخطاب والتلفظ:

تجاوز الخطــاب الملفوظ بمصطلح جديد سمّاه "إميل بنفينست "Emile Benneniste" "التلفّـظ Enonciation" الذي عرّفه بأنّه: «**الفعل الذاتي في استعمال اللّغة**»[3]، أي الخطاب هو تلك المرحلة التي يستعمل فيها المتكلّم اللّغة للتعبير والكلام فعليًا عن شيء ما بإرادته.

1- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الرّوائي "الزمن، السرد، التبئير"، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989م، ص 17.
2- صابر سعيد بقور: داعش برؤية الجزيرة عبر الفيس بوك الخطاب وانماط الوعي الجماهيري، دار الخليج، الأردن، ط1، 2017م، ص 47.
3- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الرّوائي، ص 19.

ويركّز "بنفنيست" في تعريفه على كل ما هو متعلّق بالخطاب سواء فعلي أم قولي وما يترتب عنهما من عناصر الاتصال ومقصديته. والآليات الموظفة في العملية التأثيرية بين المتكلّم والمتلقّي.

ليتوافق ويتقارب ما سبق مع تعريف "تودوروف" "Todorov" للخطاب فهو: «**منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع وفي نيّة الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما**»[1]، مشروطية الممارسة اللفظية بين المتكلّم والمخاطب في الخطاب.

يتبيّن لنا من التعريفات السابقة لمصطلح التلفّظ ضرورة وجود العمليات التواصلية في الخطاب بين طرفين (المتكلّم/ المتلقّي) ومدى تأثير المتكلّم على المتلقّي.

3- الخطاب والسياق:

حظي مصطلح السياق "Contexte" باهتمام الدّارسين له نظرًا لتشعّب مفهومه وشساعته، فنجده عند البعض مرتبطًا بالمحيط اللّغوي. المتعلّق باللّفظ والجملة، والبعض الآخر يربطه بالجانب الخارجي عامة، فنجد على سبيل المثال"ستيفن أولمان" "Ullmann" يعرّف السياق من جانبه اللّغوي الذي ربطه بعملية تنظيم وترتيب الكلمة وسط جموع الكلمات الموالية لها توضيحًا لمعناها وسط الجملة أو الخطاب بقوله: «**كلمة السياق Contexte قد استعملت حديثًا في عدّة معانٍ مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهمّ مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي "النظم اللّفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم"، بأوسع معاني هذه العبارة. إنّ السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب؛ بل والقطعة كلّها والكتاب كلّه**»[2]، فالنسيج اللّغوي الذي نسجت عليه تلك الكلمات أو الجمل لم يأتي تلقائيًا؛ بل

1- أوليفير يبول: لغة التربية الخطاب البيداغوجي، تر: عمر أوكان، أفريقيا الشرق، القاهرة، 2002م،ص 41.
2- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللّغة، تر: كمال بشر دار غريب، القاهرة، ط1، 1962م، ص 68.

على قواعد مضبوطة العلاقات. وبعمليات منتظمة العناصر. فالسياق هنا يشمل كل ما هو صوتي وصرفي وتركيبي في تنظيم الكلمات وتشكيل الخطاب بوصف ذلك بنية قاعدية.

أمّا إذا عدنا للسياق من الجانب الخارجي نجده يقوم على معطيات غير لغوية تساهم في الإنتاج اللّغوي حيث يقوم السياق هنا على كشف معنى الخطاب انطلاقًا من الجملة حسب ما جاء به "بول ريكور" " Paul Ricoeur": «**الخطاب إذن: من حيث هو واقعة أو قضية أو خبر؛ أي من حيث هو وظيفة إسناد متداخلة ومتفاعلة بوظيفة هوية هو شيء مجرّد يعتمد على كل عيني ملموس هو الوحدة الجدلية بين الواقعة والمعنى في الجملة**»[1]، إذ أشار "ريكور" هنا إلى الضرورة التي تفرض تواجد السياق في الخطاب وبراغماتياته.

ويتجاوز المصطلح السياقي في وصفه المطلق تلك البنية اللّغوية إلى أبعاد أخرى غير لغوية تشكل منظومة علاماتية الدلالة، حيث أشار إلى ذلك "جون ديبوا" "Jean Dubois" بقوله: «**السياق هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق عليها التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللّغة ... وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما**»[2].

4- الخطاب والعملية التواصلية:

لدى كل خطاب عملية تواصلية تربط بين المتكلّم والمتلقّي تجمعهما لغة محدّدة، حيث يعرّف "فان دايك" "van dijk" بأنّه: «**يُعـرّف الخـطاب بصفة عامـة بأنّه حدث تواصلي معين ولكنّه يمثل تفاعلاً لفظيًا أو**

1- بول ريكور: نظرية التأويل وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2016م، ص37.

2- Jean Dubois : Dictionnaire de Linguistique et des Science du Langage, La Rousse, 2eme Edition, 1999, p 116.

توظيفيًا لغويًا مكتوبًا أو منطوقًا بصفة خاصة»[1]، فالخطاب فعل انجازي تفاعلي تأثيري بين أطراف العملية التواصلية إمّا أن يكون لفظيًا أو كتابيًا.

وتدعيمًا لهاته الفكرة نذكر تعريف آخر للخطاب عند "شوبنهاور" "Schopenhauer" الذي اعتبره «**ملكة جعل الآخرين يشاركوننا آرائنا، وطريقة تفكيرنا في شيء ما. وكذلك إيصال عواطفنا الخاصة إليهم... بغرس أفكارنا في أذهانهم بواسطة الكلمات وذلك بقوة تجعل أفكارهم الخاصة تنصرف عن اتجاهها الأولي لتتبع أفكارنا التي ستقودها في مسارها**»[2]. من خلال ما سبق ذكره من إحالات إنجازية يتضح جليا أنّ البعد التواصلي للخطاب، هو أساس المتابعة اللّغوية الوظيفية، التي هي محل العناية النقدية.

5- الخطاب والممارسة الاجتماعية:

استعملت اللّغة بوصفها خطابا سواء كان هذا الخطاب حديثًا أم نصًا كممارسة اجتماعية، فارتباط اللّغة بالمجتمع جعلها جزءًا من الحياة الاجتماعية، كما أشار "تانكرد" "Tancred" بقوله: «**الخطاب يركّز على اللّغة والمجتمع ... له جمهور وهدف وقصد معين من النّصوص والممارسات الاجتماعية**»[3]، فهاته الأخيرة تساهم في تشكيل وإنتاج الخطاب.

اختلفت رؤية "نورمان فيركلف" "Norman Fairclough" للخطاب عما جاء به "تانكرد"، حيث أقرّ هذا الأخير أنّ للممارسة الاجتماعية دور في صنع الخطاب، إلا أن "فيركلف" يرى بأنّ الخطاب هو نوع من الممارسة الاجتماعية، إذ يعطي الخطاب نظرة خاصة في استخدام اللّغة «**باعتبارها عنصرًا في الحياة الاجتماعية**

1- فان دايك: الخطاب والسّلطة، تر: غيداء العلي، مركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014م، ص 222.
2- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطاب العربيّة، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002م، ص13.
3- بسام عبد الرحمن المشاقبة: مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، 2014م، ص 102.

ويتصل اتصالاً وثيقًا بعنـاصر أخرى، لكن مصطلح الخطاب أيضًا يمكــن استخدامه بطــريقة خاصة»[1] حسب ما يخدم مقصديته.

لكل خطاب ميدانه الخاص الذي تتشكل فيه وحدات أطلق عليها "ميشيل فوكو" " Michel Foucault" مصطلح المنطوقات، والتي هي مجموعة من التشكيلات الخطابية تحكمها قوانين تقوم على تشكيل الخطاب الذي ينتج السلطة ويقويها أو قد يلغيها معرفا الخطاب بقوله: «**بل يجب أن نتصوره كمجموعة عناصر خطابية تستطيع أن تعمل استراتيجيات مختلفة...ينبغي أن نسلم بوجود لعبة معقدة وغير مستقرة, حيث يكون الخطاب في آن واحد أداة في يد السلطة ونتيجة لممارستها، وقد يكون عائقًا مصطدمًا به ونقطة مقاومة وانطلاقة لإستراتيجية مناقضة، الخطاب ينقل السلطة وينتجها، ولكنّه أيضًا يلغمها، يفجرها، يجعلها هزيلة ويسمح بإلغائها**»[2]، فالخطاب حسب "فوكو" مجال واسع ومعقّد من الترابطات الاجتماعية، التي تسيطر على نتاج الكلام استراتيجيات متعدّدة مسؤولة عن صنع الفضاء الاجتماعي، والمتمثلة في السلطة التي نجدها بكثرة في الممارسات الاجتماعية باعتبارها قوة منتجة، أو قد تكون قوة مقيدة الحواجز حسب ما يقتضيه الخطاب لأنّه الرقعة التي تمارس فيه السلطة قوتها.

نلاحظ خروج الخطاب من بوتقة المفهوم اللّغوي البسيط بوصفه مجموعة فونيمات تشكل نصًا متجانسًا يستخدمها الفرد للتواصل، تتسم بالجمالية التي قد تكون مكتوبة أو منطوقة، لغوية أو غير لغوية، إلى مفهوم أعمق هو الوحدة اللّغوية الكبرى في بعدها السياقي.

1- نورمان فيركلاف: تحليل الخطاب التحليل النّصي في الخطاب الاجتماعي، تر: طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط1، 2009م، ص 23.

2- ميشال فوكو: إدارة المعرفة، تر: مطاع صفدي، جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1990م، ص 108.

ثالثا– التّحليل النّقدي للخطاب:

اكتسح السّاحة النّقدية في مجال دراسات الخطاب مصطلح جديد، قدّم طريقة مبتكرة في تحليل الخطابات، حيث تخطّى التعامل النّمطي مع الخطاب باعتباره مُعطي لغوي وأنّه مجموعة متناسقة من الجمل، إلى التّعامل مع هذا الخطاب بوصفه تجسيدًا للإنسان في علاقاته بالمؤسسات القائمة (السّلطة) وفي سياق تاريخي اجتماعي معيّن ممّا دفع بهذا الخطاب نحو مجالات بحثية أكثر عمقًا وتأثيرًا، هذا المصطلح الذي تقدّم بالمشروع النقدي خطوة هائلة نحو الأمام والذي اتخذ اسم "التحليل النّقدي للخطاب"، بلور نظرياته وأصبح تخصّصًا قائمًا بذاته في النقد المعاصر مع أواخر القرن الماضي، فهو يركّز على دراسة استخدام اللّغة وراء حدود الجملة، ويعتبر اللّغة ممارسة اجتماعية مرتبطة بالسّلطة ويعمل على كشف هذه العلاقة المنعكسة في النّصوص والخطابات.

ولا يمكن العروج للحديث عن ماهية هذا التّخصّص إلاّ بتتبّع مراحل ولادة ونشأة اسم التّحليل النّقدي للخطاب، كما لا يتسنّى لنا ذلك إلاّ بالنّبش في الحقب التاريخية التّي أسّست لظهوره.

يعدّ "فان دايك" من أوائل الذين وعَوْا واستوعبوا ممارسات أقرب ما تكون إلى التّحليل النّقدي للخطاب إذ «**بلور مقاربته في كتابه الأحكام المسبقة في الخطاب انطلاقًا من الجمع بين مجموعة من المقاربات الأخرى، وراح في تصنيفها بين كونها مقاربة تجريبية واسعة في التّداولية، وبين كونها معدّة للبرهنة على إمكانية وضرورة تأسيس مقاربة تطبيقية نقديّة في تحليل الخطاب، فهي إسهام يهدف إلى التحليل النّقدي للأحكام المسبقة، وما نستشفّه من هذه التّسميات هو البحث عن اسم لممارسة بدأ يعيها فان دايك لكنّه لمّا يجد لها اسمًا مناسبًا آنذاك**»[1].

1– سعيد بكار: التّحليل النّقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، مجلّة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو، الجزائر، العدد 2، جوان 2021، ص 445.

ومازال "فان دايك" بذلك يعمل على ضبط المفاهيم وصقلها في محاولة إيجاد اسم لهذه الممارسات إلى أن ألّف كتابه المشهور "الخطاب والسّلطة"، والذي يظهر فيه جليًّا تبنّيه اسم التّحليل النّقدي للخطاب، حيث أقام "فان دايك" في كتابه هذا «**مقارباته البحثية حول الخطاب والسّلطة، ناقدًا إساءة استعمال السّلطة كما تتجلّى في الخطاب ...، فنلحظه في مقالاته العشر التي أثّثت هذا الكتاب يصدر عن وعي بأنّ الخطاب يتعالق مع السّلطة ... فمن يملك الخطاب ويوجّهه يخلق المعنى ويبتدع الحقيقة ولو كانت ملتبسة غير شفافة**»[1]، فهنا قدّم رؤية مغايرة للخطاب، إذ وجد أنّه يتجاوز كونه مُعطى فردي وأنّه ترابط مجموعة متناسقة من الجمل إلى اعتبار أنّ الخطاب يشمل ليكون أداة هيمنة وسيطرة غير مباشرة من طرف السّلطة.

وفي السّياق نفسه «**عمل فان دايك على تفكيك الخطاب في مقالاته العشر من خلال الاستراتيجيات التي اتكأت عليها هذه الخطابات، وإن تنوّعت هذه الاستراتيجيات، فقد تكوكبت حول بؤرة مركزية هي أنّ الخطاب لا يُحلّل بوصفه لفظًا مستقلاً بذاته فحسب، بل بوصفة تفاعلاً موقفيًا وممارسة اجتماعية أيضًا، وأنّ السّيطرة على الخطاب العام هي سيطرة على العقل العام**»[2].

وإلى جانب "فان دايك"، يُعدّ "نورمان فيركلف" من الرّائدين في التأسيس لهذا المجال، حيث «**كتب سنة 1985 مقالا بعنوان الأهداف النّقديّة والوصفية في تحليل الخطاب، داعيًا فيه إلى نزع الألفة عن الأيديولوجيات التي تتجسّد غالبًا في تشكيلات خطابية إيديولوجيّة، وذلك بتبنّي تحليل خطاب ذي أهداف نقديّة، يبرز كيفية تحديد البنيات الاجتماعية لسمـات الخطاب، وكيفية إسهام الخطاب بدوره في تحديد البنيات الاجتماعية**»[3].

1- عيسى عودة برهومة: فان دايك: التباسات الخطاب والسّلطة، الموقع: www.alaraby.co-uk، 8 فبراير 2015م.

2- المرجع نفسه.

3- سعيد بكار: التّحليل النّقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، ص 446.

وكان هذا قبل أن يؤلّف "فيركلف" كتابه المعنون بـ "اللّغة والسّلطة" والذي تُناقش الدّراسة فيه الدّور الذي تؤديه اللّغة للحفاظ على علاقات السّلطة وتغييرها في المجتمع المعاصر، حيث يشير الكتاب إلى الأهمية التي اجتذبها التحليل النّقدي للخطاب من خلال خروجه عن سياق علم اللّغة والدّراسات اللّغوية البحثة إلى إضفاء النّزعة النّقدية في دراسة اللّغة، ويوضّح "فيركلف" ذلك بقوله: «**موضوع هذا الكتاب اللّغة والسّلطة، أو بمزيد من الدّقة، الرّوابط بين استعمال اللّغة وعلاقات السّلطة غير المتكافئة، خصوصًا في بريطانيا الحديثة. وقد كتبته لغرضين رئيسيين: الأوّل نظري، وهو المساعد على تصحيح ظاهرة واسعة الانتشار ألا وهي التّقليل من أهمية الدّور الذي تضطلع به اللّغة في إنشاء علاقات السّلطة الاجتماعية والحفاظ عليها وتغييرها، والثاني عملي، وهو المساعدة على زيادة الوعي بالأسلوب الذي تسهم به اللّغة في تمكين بعض النّاس من السّيطرة عل البعض الآخر، لأنّ الوعي يمثل الخطوة الأولى على طريق التحرّر**»[1]، ويمكن القول أنّ "فيركلف" عالج من خلال نصّه هذا فكرة التّحليل النّقدي للخطاب محدّدًا بذلك أهدافه الأساسية.

"روث فوداك" كذلك تعتبر من المساهمين في التأصيل لمثل هذه الممارسات النّقدية، إذ «**سمّت في الكتاب الذّي أشرفت عليه والمعنون باللّغة والسّلطة والإيديولوجيا: دراسات في الخطاب السّياسي المقاربة النّقدية الجديدة للخطاب السّياسي بكونها لسانيات نقدية أو تحليلاً نقديًا للخطاب، وكلاهما _بحسبها_ بهدف إلى إماطة اللّثام عن العمليات الاجتماعية في هذا المجتمع ومجتمعات أخرى وتوضيح هذه العمليات...**»[2].

توسّعت "فوداك" بعد ذلك في هذا الحقل المعرفي وألّفت العديد من الكتب، لعلّ أهمّها كان كتاب "مناهج التّحليل النّقدي للخطاب"، والذّي فصّلت فيه الحديث عن التّحليل النّقدي للخطاب ومقارباته تنظيرًا

1- تورمان فيركلف: اللّغة والسّلطة، تر: محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016م، ص 15.
2- سعيد بكار: التّحليل النّقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، ص 447.

وتطبيقًا [1].

ولعلّ أهمّ ما يجب إدراجه في سياق حديثنا عن ولادة ونشأة التّحليل النّقدي للخطاب هو المساهمة العملاقة لاجتماع أمستردام التّي كان لها الصّدى الواضح في التأسيس لمثل هذه المقاربة النّقدية، فكثير من النّقاد من أشار إلى أنّ هذا الاجتماع هو الشرارة الأولى لقيام مثل هكذا مقاربة، و «**تؤكّد روث فوداك في كتابها مناهج التّحليل النّقدي للخطاب أنّ تأسيس هذه المقاربة كان سنة 1991 بجامعة أمستردام خلال عقد مائدة مستديرة علمية ناقش في أثنائها مجموعة من اللّسانيين موضوع اللّغة والخطاب والمجتمع والسّلطة وشملت أبرز الرّواد وهم: نورمان فيركلف وتوين فان دايك، روث فوداك، كريس غانتر وتيوفان لوفين**»[2].

إذ اجتمع هؤلاء الدّارسين من أجل التنظير للتّحليل النّقدي للخطاب على وجه الخصوص، وقد تحدّد من هذا اللقاء أصول معرفية جديدة متعلّقة بهذا الأخير، «**ثمّ توالت الكتابات في إطار التّحليل النّقدي للخطاب وظهرت مجلاّت عديدة خاصّة به، وكتابٌ يشكّل دليلاً لهذا البرنامج وصل اليوم إلى نسخته الثالثة، وهو مخصّص للحديث عن مناهج التّحليل النّقدي للخطاب...**»[3].

فاجتماع كلّ من "فان دايك" "فيركلف" و"روث فوداك" على طاولة علمية واحدة مع مجموعة مفكّرين كان له الدّور المحوري في الاتفاق على اسم صريح لممارسات كان يعيها ويتدارسها كلّ واحد منهم، هذا الاجتماع أين نصب فيه التّحليل النّقدي للخطاب أسسه المعرفية وعرف من خلاله الانطلاق الفعلي لمقارباته.

1- ينظر: صوفان محمد: قراءة تقديمية لمضامين فصل: المقاربة التّاريخيّة للخطاب "مارتن رايزنجل وروث فوداك" من كتاب مناهج التّحليل النّقدي للخطاب، مجلة الخطاب والتواصل، مجلة علمية محكمة، مخبر الخطاب التّواصلي الجزائري الحديث، عين تيموشنت، الجزائر، عدد 8، نوفمبر، ص92.

2- المرجع نفسه، ص 92.

3- سعيد بكار: التّحليل النّقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، ص 447.

نتوصل هنا من خلال تتبعنا لمراحل نشأة التّحليل النّقدي للخطاب تجلّي ووضوح لجزء من ماهية هذا المصطلح النّقدي، باتّفاق جميع الدّارسين حول كونه يشتغل على الخطابات محاولاً الكشف عن تجليات السّلطة فيه.

3- مفهوم التّحليل النّقدي للخطاب:

لقد عـالج مؤسّسو التّحليـل النّقدي للخطاب مفاهيمه النّظريـة وأصوله المعرفيّة، متّفقين بذلك على أهمّ أسُسَيْ هذا المجال، فهو يتشكّل بتقاطع تخصّصي اللّسانيات وعلم الاجتماع، واعتبر محور اشتغاله دراسة تلك العلاقة القائمة بين اللّغة والسّلطة.

و"فان دايك" من بين أبرز هؤلاء المنظّرين يرى بأنّ التّحليل النّقدي للخطاب «**_كما هو الحال في التّخصصات الأخرى_ يمكن النّظر إليه على أنّه ردّة فعل ضدّ النماذج الاجتماعية أو غير النّقدية السّائدة في الستينيات والسبعينيات**»[1]، مشيرًا بذلك إلى أهمّ سماته، إذ يقول في هذا الشأن «**ولا يُعدّ تحليلُ الخطاب النّقديّ اتجاهًا ومدرسة أو تخصّصًا إلى جانب المقاربات العديدة في دراسات الخطاب، بل يرمي إلى تقديم وسيلة أو منظور مختلف في وضع التّنظير والتّحليل والتّطبيق في الحقل برمّته**»[2].

فالتّحليل النّقدي للخطاب قدّم طريقة أكثر تفصيلاً وتدقيقًا في مجال تحليل الخطابات، وذلك من خلال «**تبنّي فكرة أنّ العلم جزء من البنية الاجتماعية ويتأثر بها، وإنّه يُنتج في إطار من التّفاعل الاجتماعي، وبدلاً من إنكار العلاقات المتبادلة بين قوى العلوم والمجتمع أو تجاهلها، يحافظ تحليل الخطاب النّقدي على مثل هذه العلاقات ويُبقي عليها، وينادي بدراستها واعتمادها أيضًا**»[3].

(1)- توين فان دايك: الخطاب والسّلطة، ص 189.
(2)- المرجع نفسه، ص 190.
(3)- المرجع نفسه، ص 189.

فهنا يتّضح جليًا ما يشتغل عليه التّحليل النّقدي للخطاب وهي دراسة البنى الاجتماعية المضمرة في الخطابات.

بالإضافة إلى هذا يعتبر "فان دايك" التّحليل النّقدي للخطاب ذلك الموضوع الذي يُعنى بالكشف عن أشكال الممارسات السّلطوية في المجتمع والتّي يتضمّنها النّص، إضافة إلى أنّه يسلطّ الضّوء على الأيديولوجيات المتخفية داخله والمتجلية للقارئ على شكل أفكار يحاول المخاطب إقناعه بها ومن ثَمَّ يعمل على مقاومتها؛ ففي هذا السّياق يعرّف "فان دايك" التّحليل النّقدي للخطاب بأنّه «**نمط من البحث التّحليلي للخطاب، يدرس أشكال السّلطة والهيمنة في النّصوص والخطابات، وطريقة تفعيلها، وإعادة إنتاجها في السّياقين الاجتماعي والسّياسي، فيتناول كلّ جوانب السّلطة والهيمنة والتّمييز العنصري وعدم المساواة الاجتماعية... وذلك تمهيدًا لمقاومتها**»[1].

وإلى جانب "فان دايك" كان "فيركلف" من الرّائدين أيضًا في هذا المجال، حيث اعتُبرت نظريته الأهمّ والأكثر شيوعًا بين نظريات التّحليل النّقدي للخطاب، و"فيركلف" لا يختلف عن الدّارسين من أمثاله في تقديمه مفهوم التّحليل النّقدي للخطاب، إذ يرى أنّه «**تحليل العلاقات بين الخطاب _يتضمن اللّغة وأشكال سيرورة المعنى الأخرى، كالتّعبير بالجسد والصوّر المرئية_ والعناصر الأخرى في الممارسات الاجتماعية**»[2].

فالجديد الذي أضافه "فيركلف" أنّه قدّم التفاتة إلى عناصر أخرى قدْ تتضمّن الخطاب مثل الجسد والصوّر، باعتبار أنّ الخطاب ليس فقط ذلك المعطى اللّغوي؛ بل هو يتعدّى ذلك فيشمل الإيماءات والحركات التّي يقوم بها المخاطِب قصد التأثير في المتلقّي، بالتالي فهو يشير إلى ضرورة الكشف عن الأيديولوجيات وعن

1- Vandijk, Critical Discourse Analysis, the hand Book of Discourse Analysis, Edited by Debovah Tanned and heidie, haurilton, beack well publishers ltd, vsa,vk,2001, p 352.

2- نورمان فيركلاف: تحليل الخطاب التحليل النّصي في الخطاب الاجتماعي، ص 376.

الممارسات السّلطويّة في الخطابات من خلال دراسة كلّ الأبعاد التّي يحويها هذا الخطاب –الأبعاد اللّغويّة وغير اللّغويّة–.

وقد لخّص "فيركلف" مع "روث" و"داك" المبادئ العامة للتّحليل النّقدي للخطاب ،نذكر منها:[1]

- يتناول تحليل الخطاب النّقدي المشكلات الاجتماعية.
- تكون علاقات السّلطة خطابية.
- يمثل الخطاب المجتمع والثقافة.
- تكون العلاقة بين النّص والمجتمع علاقة توسّطية.
- الخطاب هو نمط من أنماط الفعل الاجتماعي.

ونستشف من هذه المبادئ أنّ التحليل النّقدي للخطاب يعالج القضايا المجتمعية في محاولة منه فهمها، وهو بذلك يحلّل العلاقات السّلطويّة خطابيًا، كما أنّ الخطاب لا يخرج عن كونه مزيج بين المجتمع والثقافة، ويقتضي نصّ الخطاب أن يكون له وسيط يربطه بالمجتمع.

التحليل النّقدي للخطاب في الدّراسات العربيّة:

يعتبر التّحليل النّقدي للخطاب كغيره من التخصّصات النّقدية غربيّ الولادة والمنشأ، وقد ظلّ هذا المجال غريبًا في وسط الأكاديمية العربيّة، إلى أن جاء به الدكتور "عماد عبد اللّطيف" فاكتسح هذا الأخير بذلك السّاحة النّقدية العربيّة، و تبادرت الفكرة إلى ذهن الدّكتور «**حين حضوره إحدى ندوات جماعة اللّغويين بالقاهرة أين تمّ إلقاء محاضرة عن العلاقة بين اللّغة والسّلطة بالإنجليزية، إذ لم يكن قبلاً قد تعرّض لمصطلحات**

1– توين فان دايك: الخطاب والسّلطة، ص 192.

التّحليل النّقدي للخطاب، وهناك أين قرّر سلوك طريق تحليل الخطاب السّياسي المعاصر»[1]، فالمتتبع لكتابات ومؤلّفات الدّكتور "عماد اللّطيف" يجد أنّ التحليل النّقدي للخطاب عنده انحصر في الخطاب السّياسي دون غيره من الخطابات، ومن أهم ما ألّف نذكر:

- كتاب تحليل الخطاب السيّاسي: البلاغة، السلطة، المقاومة.
- كتاب إستراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي العربي.
- كتاب البلاغة العربية المعاصرة.
- كتاب البلاغة العربية الجديدة (مقاربات ومسارات).
- كتاب بلاغة الجمهور: مفاهيم وتطبيقات.
- كتاب بلاغة الحرية: معارك الخطاب السيّاسي في زمن الثّورة.

«وقد قدّم عماد عبد اللّطيف مفاهيم عامّة حول هذا المجال نابشًا بذلك في الدّراسات العربيّة القديمة التّي عالجت مواضيع مشابهة لإجراءات التّحليل النّقدي للخطاب ومفاهيمه ومنظوراته، هذا ومع ما هو معروف عن التّحليل النّقدي للخطاب أنّه ليس توجّهًا محدّدًا في التّحليل وأنّه يستعين بإجراءات وعمليات تحليلية مأخوذة من حقول معرفيّة شتّى، فاستنادًا إلى هذا الفهم يرجّح عماد عبد الّطيف أنّ تاريخ التّحليل النّقدي للخطاب في العالم العربي أقدم من التّاريخ الرّسمي للتّحليل النّقدي للخطاب بوصفه حقلاً معرفيًا دشّن في أوائل تسعينيات القرن العشرين»[2].

1- ينظر: محمد يطاوي وآخرون: التّحليل النّقدي للخطاب مفاهيم ومجالات وتطبيقات، المركز الدّيمقراطي العربي للدّراسات الإستراتيجية والسّياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، ط1، 2019م، ص 20.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

بالإضافة إلى هذا فـ "عبد اللّطيف" ينظر إلى «التّحليل النّقدي للخطاب على أنّه كلّ ممارسة أكاديمية تتوفّر فيها الشّروط الأربع الآتية:

1- تتعامل مع الخطاب؛ أي اللّغة والعلامات الأخرى في الاستعمال الفعلي؛ أي في سياقات إنتاجها وتداولها واستهلاكاتها الفعلية المحدّدة، زمانيًا ومكانيًا.

2- تتخذ موقفًا نقديًا مسائلاً للعلاقة بين الخطاب والسّلطة.

3- تبرهن على دعواها من خلال تحليلات دقيقة لظواهر لغوية، وتداولية وبلاغية وأدبية في الخطاب.

4- تدرس العلاقة بين الخطاب من ناحية، والممارسات الخطابية، والممارسات الاجتماعية التّي تحيط بإنتاجه وتشكّله وتوزيعه واستهلاكه»[1].

ويتضح أنّه لتحليل نقدي خطابي وجب أن تكون هناك ممارسة احتكاك بالخطاب واتّصال ببنيته اللّغوية وسياقاته المنتجة، ثمّ لابدّ لها من اكتساء النّزعة النّقدية من أجل استكناه العلاقة بين السّلطة وهذا الخطاب من جهة وكذا استنباط الظروف والحالات الاجتماعية التّي ساهمت في خلق هذا الأخير.

مع ضرورة استدلال هذه الممارسة على ما تقوم به من خلال تحليل هذه المعطيات، يمكن القول إنّه أينما توفّر سمات وشروط التّحليل النّقدي للخطاب _من وجود محاولات لاستكشاف العلاقة بين الخطاب والسّلطة انطلاقًا من معطيات لسانية_ وجب الإقرار والاعتراف أنّ هناك تحليل نقدي للخطاب وإن كانت مثل هذه الدّراسات قد استغنت عن هذا الاسم.

ولا يختلـف هذا الدّكتور الباحث في تقديمه لمفهوم التّحليل النّقـدي للخطاب عن ما هو متعارف ومتّفق

1- محمد يطاوي وآخرون: التّحليل النّقدي للخطاب مفاهيم ومجالات وتطبيقات، ص 21.

عليه في السّاحة النّقدية حول تعريف هذا المصطلح، إذ يرى أنّ «**التّحليل النّقدي للخطاب أحدث مقاربات تحليل الخطاب ذي التّوجه اللّساني وتُعنى بدراسة العلاقات الجدلية بين اللّغة والخطاب والمجتمع والسّلطة التي تكرّسها تلك العلاقات على صعيد الممارسة الاجتماعية، وما تحدثه من تغيرات اجتماعية**»[1].

ممّا سبق نجد أنّ التّحليل النّقدي للخطاب يعدّ آلية ونمط جديد في تحليل الخطابات ينطلق أساسًا من معطيات لسانية ويرتكز على استنباط العلاقة القائمة بين اللّغة والسّلطة، وفي السّياق ذاته أيضًا توسّع "عبد اللّطيف" في عرضه لمفهوم هذا النّوع من تحليل الخطابات والذي لا يخرج إطاره المعرفي عن كونه نقد العلاقة بين الخطاب والسّلطة، إذ «**أنّ التّحليل النّقدي للخطاب بوصفه مقاربة مقاومة للخطاب السّلطوي يوفّر ذخيرة تنظيرية هائلة تخصّ العلاقة بين الخطاب والسّلطة والمفاهيم الأساسية التّي تتحرّك حولهما ...، كما يوفّر تراثا متصلا من التحليلات التي تربط اللّغوي بالاجتماعي في سياقات تاريخية واجتماعية متباينة**»[2].

مقاربات التّحليل النّقدي للخطاب:

تعدّدت المقاربات النّقدية للخطاب وتنوّعت بين نظرية الفاعل الاجتماعي مع "تيو فان لوفين"، ثم لسانيات المدوّنات ثم المقاربة التّنظيمية.

غير أنّ أهمّ مقاربات التّحليل النّقدي للخطاب انحصرت في ثلاثٍ منها أساسية هي: «**علائقية جدليّة مع فيركلف واجتماعيّة معرفيّة مع فان دايك، ومقاربة تاريخية مع روث ووداك**»[3]، وما كانت المقاربات الأخرى التي هي دون هذه المقاربات الثلاث إلاّ «**استجابة لبعض المشاكل وأوجه النّقص التّي تعانيها هذه**

1- محمد يطاوي وآخرون: التّحليل النّقدي للخطاب مفاهيم ومجالات وتطبيقات، ص 10.

2- عماد عبد اللطيف: من الوعي إلى الفعل _مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السّلطوي_، مجلة ثقافات، مجلة علمية تعنى بالدّراسات الثقافية، كلية الآداب، جامعة البحرين، عدد 22، 2009م، ص 72.

3- سعيد بكار: التّحليل النّقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، ص 452.

المقاربات الأساسية، سواء بعدم تركيزها على البعد المادّي للخطاب (تحليل التصرّفات)، أو عدم اهتمامها كثيرا بالبعد الكمّي (لسانيات المدوّنة)، أو عدم إيلائها اهتمامًا بالبعد المرئي والسّمعي للنّصوص (التّحليل متعدّد الصّيغة)، أو النّقص في الاهتمام بالبعد الذّهني (التحليل اللّساني المعروف)»[1].

وسنعرض بإيجاز هنا المقاربات الثلاث الأساسيّة في التّحليل النّقدي للخطاب، وهي كالآتي:

1- علائقية جدليّة مع فيركلف:

لاشكّ في أنّ المقاربات النّقدية للخطاب اتّفقت جميعا «**على تناول الخطابات وأشكال التّواصل المختلفة للكشف عن السّلطة والإيديولوجيا ومقاومتها**»[2]، وذلك انطلاقًا من معطى لغويّ، غير أنّ "فيركلف" «**وعى أنّ الدّراسة اللّغويّة وحدها غير كافية لفهم العلاقة بين الخطاب والمجتمع، وقد دعا إلى الحاجة إلى منظور يمزج التّحليل النّصي بالتّحليل الاجتماعي؛ وذلك عبر التّركيز على بعدين اثنين في الخطاب هما:**

الحدث التّواصلي الذي ينصرف التّحليل فيه إلى تحليل السّمات اللّغويّة، بينما يركّز تحليل نظام الخطاب على السّمات الخطابية، ويقوم الباحث بدراسة تأثير نظام الخطاب في البنية الاجتماعية...»[3]

فهو بذلك _أي فيركلف_ إضافة إلى دراسته وتحليله للمنتج اللّغوي دراسة لسانية لغويّة بحتة ينتقل إلى دراسة وقع الخطاب في البنية الاجتماعية، وكيف يؤثّر فيها.

1-سعيد بكار: التّحليل النّقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، ص 452.

2- المرجع نفسه، ص ن.

3- المرجع نفسه، ص 455.

«**وفيركلف يعتبر أنّ كلّ ممارسة لغويّة تتكوّن من ثلاثة أبعاد: (بعد النّص وبعد الممارسة الخطابية وبعد الممارسة الاجتماعية) ويرى أنّه وجب التطرّق إلى كلّ بعد أثناء تحليل حدث اتّصالي ما، مقرًّا أنّ الهدف الأساسي لهذه المقاربة هو دراسة الرّوابط بين استعمال اللّغة والممارسة الاجتماعية**»[1].

وبهذا فهو يدرس الخطاب انطلاقًا من ثلاثة أبعاد:[2]

أ- بعد الممارسة الخطابية: تُعنى مرحلة تحليل الممارسة الخطابية في مقاربة فيركلف الجدلية العلائقية بدراسة إنتاج النّص واستهلاكه.

ب- بعد تحليل النّص: وتُعنى هذه المرحلة بوصف أنظمة الخطاب المحدّدة في الممارسة الخطابية.

ج- بعد الممارسة الاجتماعية: يدرس أثر نظام الخطاب في المجتمع.

وحصيلة لما سبق فإنّه إجمالاً يمكن «**النّظر إلى مقاربة فيركلف من خلال زاوية نظره للعلاقة بين الخطاب والمجتمع، ذلك أنّه يرى أنّ الخطاب يتأثر بالبعد الاجتماعي لأنّ الممارسة الخطابيّة هي إعادة إنتاج للممارسة الاجتماعية، والخطاب يؤثر بدوره في المجتمع من خلال إبراز ممارسات اجتماعية ما...**»[3]، فـ"فيركلف" يدرس الخطاب من حيث إنتاجه وتلقّيه استنادًا إلى العلاقة التي تربطه بالظروف الاجتماعية.

2- مقاربة اجتماعية معرفية مع فان دايك:

يعرف "فان دايك" بأنّه رائد البعد المعرفي الاجتماعي في التّحليل النّقدي للخطاب، وقد مرّت دراسته بمراحل منطلقًا بذلك من نحو النّص وصولاً إلى تحليل الخطاب وبالتّحديد إلى التّحليل النّقدي للخطاب؛ أين

1- ينظر: سعيد بكار: التّحليل النّقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، ص 455- 456.

2- المرجع نفسه، ص 456- 457.

3- منية عبيدي: التّحليل النّقدي للخطاب نماذج من الخطاب الإعلامي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1437هـ/ 2016م، ص 117.

اتّضح جليًا سلوكه مسار دراسة خطابات الميز العنصري وجعلها محور اشتغاله، وذلك في إطارها الاجتماعي، كون هذه المواضيع اجتماعية بالأساس فـ " فان دايك" يعدّ مع غيره من المفكّرين والباحثين الذّي ناضلوا وقاوموا في كتاباتهم ضدّ الميز العنصري مدافعين بذلك على هذه الفئة الضّعيفة المهمّشة[1]، إذ «**استند في بحوثه على ما توصّلت إليه العلوم العرفانية***؛ **لذلك اتّسمت أعماله بسمة الاتّجاه العرفاني في التّحليل النّقدي للخطاب، لكنّه لم يهمل الجانب الاجتماعي**»[2]، رابطا بين أفعال الجماعات التي تمارس الميز العنصري وبين الجانب الذّهني للفرد أو المجموعة التّي يُمارس عليها هذا الفعل[3].

تقوم منهجية "فان دايك" في تحليل الخطابات على مثّلث "المعرفية والمجتمع والخطاب" ونوضّحه كالآتي:[4]

– العنصر المعرفي: يتكوّن في مقاربة فان دايك من:

الذّاكرة، النماذج الذّهنية (التّجارب الشّخصية)، المعرفية الاجتماعية (كلّ ما يسمح بتفاعل وتواصل البشر مع بعضهم البعض)، نماذج الموقف (تعمل على تفسير المعنى الشّخصي وتأويل الخطاب)، نماذج السّياق (تحكم معلومات نموذج الموقف كتجربة شخصية).

– العنصر الاجتماعي: يتمثّل هذا العنصر في مقاربة فان دايك؛ المجموعات والتّنظيمات التي تحكم بشكل مباشر أو غير مباشر الخطاب العام.

– العنصر الخطابي: الذي يشير فان دايك فيه إلى أنّ فيه تفصيل في دراسة البنيات الخطابية والأيديولوجية

1– منية عبيدي: التّحليل النّقدي للخطاب نماذج من الخطاب الإعلامي، ص 118.

*– **العلوم العرفانية**: هي العلوم التي تتعامل مع العقل على أنّه مادّة بالكامل، ويهدف إلى جمع الأدلّة التجريبيّة التي تؤثر على العمليات والظواهر العقلية، وتطوير النّظريات التي تشرح تلك الأدلّة، والتي يمكن أن تأتي من العديد من التخصصات.

2– منية عبيدي: التّحليل النّقدي للخطاب نماذج من الخطاب الإعلامي، ص118.

3– المرجع نفسه، ص119.

4– سعيد بكار: التّحليل النّقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، ص 467-468.

المتضمّنة للخطاب.

3- المقاربة التّاريخية مع روث ووداك:

تعدّ دراسة "روث فوداك" أوّل دراسة أرست أسس المقاربة التّاريخية للخطاب، حيث جاءت مقاربتها «**في بيان منها للقصور الذي وقع فيه بعض الدّارسين _أمثال فان دايك وشيلتون_ عن الوصول إلى تحليل الدّلالات الحقيقية للخطاب**»[1]، و «**تتبنّى ووداك، مقاربة تعتمد التّظافر بين الاختصاصات في ظلّ تحليل سياقي متعدّد المستويات تستوجبه طبيعة الخطاب الذي تتناوله بالدّراسة**»[2].

إذ «**يلتزم نهج المقاربة التاريخية في مجال التّحليل النّقدي للخطاب بالتّوجه الاجتماعي الفلسفي للنّظرية النقدية**»[3]، وذلك إضافة إلى «**التّوجه اللّساني، اقتناعًا بأنّ الظّواهر الاجتماعية معقّدة وأنّ تعقيدها يوجب على الباحثين توظيف العديد من النّظريات والمناهج والمنهجيات**»[4].

تهدف مقاربة "ووداك" إلى وصول تحليل الدّلالات الحقيقية المتضمنة في الخطاب، ولا يتمّ ذلك إلاّ باستغلال العلاقة بين التّداولية والتّحليل النّقدي للخطاب، هذه العلاقة التي تساهم في فهم الخطابات خاصّة السّياسية منها، لأنّ هذا الأخير _الخطاب السياسي_ أكثر تعقيدًا من أشكال الخطابات الأخرى، لانفتاحه على إمكانيات متعدّدة للتأويل.[5]

1- منية عبيدي: التّحليل النّقدي للخطاب نماذج من الخطاب الإعلامي، ص 104.

2- المرجع نفسه ،ص 103- 104.

3- Wedak ruth and Michael Mayer, Methods of Critical Discouvse Avalysis, SAGE Publication, London, 2001, p64.

4- سعيد بكار: التّحليل النّقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، ص 460.

5- ينظر: منية عبيدي: التّحليل النّقدي للخطاب نماذج من الخطاب الإعلامي، ص 105.

وتقوم المقاربة التّاريخية للخطاب على منهجيّة مكوّنة من ثماني خطوات نستعرضها كمايلي[1]:

- تفعيل المعرفة النّظرية السّابقة واستطلاعها.
- جمع منظّم للبيانات ومعلومات السّياق.
- اختيار و إعداد بيانات لتحليلات محدّدة.
- تحديد أسئلة البحث وصياغة الافتراضات.
- تحليل كيفي تجريبي يمحص الفرضيات ويحدّد مقولات التّحليل.
- دراسة تفصيلية للحالة.
- صياغة نقد قائم على تأويل نتائج البحث.
- تطبيق النتائج التّحليلية المفصّلة.

من هذا المنطلق تبدأ هذه المقاربة بقراءة موسّعة لما كتب حول الموضوع المدروس، ثمّ تحديد سؤال إشكالي معيّن يتوجّه نحو دراسة مشكلة اجتماعية، ثمّ بعد ذلك صياغة فرضيات واختيار متون معيّنة لتحليلها، وختامًا تحليل تلك المتون ونقدها عبر اقتراح بدائل ممكنة لتجاوز ذلك المشكل الذي يطرحه الموضوع المدروس[2].

وبالنّظر إلى ما هو متعارف عليه في السّاحة النّقدية؛ فإنّ مقاربة "فيركلف" من بين هذه المقاربات الثلاث الأكثر اعتمادًا في مختلف التّطبيقات للتّحليل النّقدي للخطاب، هذه المقاربة هي التّي اعتمدها الدّكتور "عماد عبد اللّطيف" خلال دراسته للخطابات السياسية؛ إذ يشير إلى ذلك أثناء تقديمه لدراسة تحليلية لخطاب سياسي فيقول: «**تسعى هذه الدّراسة إلى تقديم تحليل بلاغي، يتعامل مع البيان بوصفه حدثًا خطابيًا بالمعنى الذّي**

1- موضان محمد: قراءة تقديمية لمضامين فصل: المقاربة التاريخية للخطاب، ص ص460-461.

2- ينظر: سعيد بكار: التّحليل النّقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، ص 461.

رسّخه نورمان فيركلف أهمّ مؤسّسي التّحليل النّقدي للخطاب»[1].

وعلى هذا النّهج أيضًا سيقوم تحليل الخطاب في عملنا هذا.

رابعا– مفهوم الخطاب السّياسي:

«تتعدّد أشكال الخطابات بتعدّد حقول مواضيعها، فنسمّي الخطاب الدّيني؛ إذا تناول الدّين موضوعًا له، ونسمّي الخطاب بالسّياسي؛ إذ تناول السّياسة موضوعًا له. أمّا إذا أردنا تناول ماهية هذا الخطاب، فعلينا أن نغوص في أعماق موضوعه، وأن ندرك طبيعته»[2].

إنّ الخطاب بالرّغم من اعتباره من أكثر المفاهيم تعقيدًا في التّعريف إلاّ أنّه في إطاره العام ذلك الهيكل القائم من ترابط الجمل وتناسقها مع بعضها البعض، والمتضمّنة لأفكار ورسائل تهمّ المتلقّي، وهو بذلك كلّ منطوق أو مكتوب موجّه إلى الغير، يحمل بين طيّاته مقاصد يرجو منها أهداف معيّنة، تفيد في مجملها الإقناع والتأثير على الآخر.

«وأصل الخطاب أن يتمّ باللّغة، ولطالما ربط الباحثون بينها وبين السّياسة ومن ثمّ بينها وبين السّلطة»[3]، يقول "عبد السلام المسدّي": **«اللّغة سلطة في ذاتها والسّياسة هي السّلطة بذاتها ولذاتها... فالسّياسة هي السّلطة الحاضرة واللّغة هي السّلطة الغائبة»[4].**

1- عماد عبد اللطيف: "بيان التنصي" وذاكرة الهزيمة: مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي، N030, Alif, Jounal of Comparative POETICS، 2010م، P147.

2- يعقيل كمال: دراما الاتّصال في الخطاب السياسي الفيلمي _مقاربة سيميائية تداولية لنماذج الخطاب السّياسي الفيلمي_، مذكرة ماجستير، قسم علوم الإعلام والاتّصال، إشراف: عمار يزلي، جامعة وهران، 20111م/2012م، ص 29.

3- حميد الزيتوني: التّحليل النّقدي للخطاب السّياسي الأمريكي _خطاب دونالد ترامب إلى العالم الإسلامي نموذجا_، مجلة خطابات، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدّراسات، الجمهورية الجزائرية، عدد 4، 2021م، ص 125.

4- عبد السلام المسدّي: اللذغة والسّياسة، جريدة الرّياض، عدد 13478، 19 ماي 2005م، على الرّابط: (http://bit.ly/2qkbpfr).

وفي هذا السّياق لابدّ إذن وأن نعرّج الحديث عن مفهوم السّياسة؛ «**وبما أنّ مفهوم السّياسة كان لصيق بسلوكات البشر في إرساء النّظام والحكم، والجماعة والفرد والقانون، والعدل ولسّلطة...إلخ، فقد عرف المصطلح تطوّرًا تماشى طردًا والتطوّر الحضاري الذي عرفته البشرية**»[1].

بالتالي فيمكن اعتبار السّياسة على وجه العموم بأنّها «**كلّ موضوع له صلة بشأن أو أمر من أمور السّلطة والدّولة**»[2].

من هنا وإذا ما جمعنا مفهومي الخطاب والسياسة فإنّنا نجد أنّ لفظ الخطاب السّياسي «**يُطلق عادة على خطاب السّلطة الحاكمة أو الحركات والأحزاب التّي تحمل برامج سياسية، وهذا يعني أنّه خطاب موجّه لتحقيق مقصد سياسي ليؤثر في المتلقّي وإقناعه، ويحمل هذا الخطاب أجندة سياسيّة، يسعى المرسِل لترسيخها**»[3]. فلا يختلف جوهر الخطاب السّياسي عن غيره من أشكال الخطابات في كونه متشبع بأفكار وأيديولوجيات يمارس من خلالها فعل التأثير على الآخر المستهدف، في حين أنّه لا يخرج عن نطاق السّياسة أثناء طرحه أفكاره.

وهذا ما نجِده عند "آلن غولد شيغر" الذي هو كذلك يرى أنّ الخطاب السّياسي «**يراد به خطاب السّلطة الحاكمة في شائع الاستخدام، وهو الخطاب الموجّه عن قصد إلى متلقٍ مقصود، بقصد التأثير فيه وإقناعه بمضمون الخطاب، ويتضمّن هذا المضمون أفكار سياسيّة، أو يكون موضوع هذا الخطاب سياسيًا**»[4]، وفي السّياق نفسه يمكن القول أنّه وبشكل عام يُطلق الخطاب السّياسي «**على ما يلقيه المنشغلون**

(1)- يعقيل كمال: دراما الاتّصال في الخطاب السياسي الفيلمي، ص 30.

(2)- المرجع نفسه، ص ن.

(3)- عائشة قرة: الحجاج في الخطاب السّياسي لدى الأحزاب السّياسية _قراءة في المفهوم وبحث في الآليات والاستراتيجيات_، المجلة الجزائرية للدّراسات السّياسية، عدد1، 2020م، ص 65.

(4)- ينظر: آلن غولد سليفر: نحو سيمياء الخطاب السّلطوي، تر: مصطفى كمال، مجلّة الشعريّة اليوم، بيت الحكمة، عدد 5، 1987م، ص 134.

بالعمل السّياسي على مسامع الجماهير، أو على نُظرائهم من السّياسيين، سواء أكان مكتوبا أم منطوقا لإقناعهم بمشروعهم السّياسي، أو لتبرير قرارات سياسيّة أو البحث عن تحقيق مكاسب سياسيّة»[1].

ولعلّ الغاية من اشتغال هذا الشكل من الخطابات لم تكمن أبدا في بلاغة لغته أو عبقريّة ألفاظه «**فالخطاب السّياسي يهتمّ بالأفكار أو المضامين، ولهذا نجد المادّة اللّفظية قليلة، في حين يتّسع المعنى الدّلالي لتلك الألفاظ، فالمرسِل يعتني بالفكرة التي هي مقصده أكثر من عناية بالألفاظ، فالفكرة في الخطاب السّياسي هي الأساس**»[2].

وممّا لا يختلف فيه اثنان أنّ «**الخطاب اللّغوي فيه نوعان: نوع منطوق ونوع مكتوب، واللّغة في أصلها منطوقة وظلّت منطوقة إلى أن تمّ ابتكار الرّموز الكتابية فصارت منطوقة ومكتوبة أيضًا**»[3].

وعلى هذا الأساس يُعرف الخطاب المنطوق على أنّه «**الخطاب الشّفاهي الذّي يقوله صاحبه معتمدًا فيه على الأداء الصّوتي، لا الشّكل الكتابي، ويُراد به الخطاب المرتجل والمقروء المعدّ أيضًا، فالعبرة بالعناصر الصّوتية والحركية والإشارية والرّمزية التّي تشارك في الدّلالة**»[4]. فهذا النّوع من الخطابات هو الذي يُنقل شفاهة إلى المتلقّي، وتشارك فيه عناصر ووحدات تعبيريّة صوتية وغير لغويّة.

بينما يُعرّف الخطاب المكتوب على أنّه «**المدوّن لفظا في نص ثابت، فيتحوّل من أفكار وأصوات إلى شكل ثابت...**»[5]، وهو بذلك الخطاب المخطوط المتضمّن فقط للعناصر والرّموز الكتابية.

1- حميد الزيتوني: التّحليل النّقدي للخطاب السّياسي الأمريكي، ص 125.

2- محمود عكاشة: لغة الخطاب السّياسي، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 1426هـ/2005م، ص 46.

3- المرجع نفسه، ص 53.

4- المرجع نفسه، ص 199.

5- الحواس بلخيري: الخطاب المنطوق والخطاب المكتوب من منظور تداولي، مجلة الممارسات اللّغويّة، مخبر الخطاب الحجاجي، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، عدد 2، جوان 2021م، ص 359.

وبالنظر إلى موضوع اشتغالنا، فما يهمّنا هنا هو الخطاب المنطوق أو الخطاب السّياسي المنطوق على وجه الخصوص، فهذا الأخير لا تقتصر الدّلالة فيه على ما يحمله اللّفظ والتّركيب، بل يتجاوز ذلك إلى تأثير العناصر الفونيتيكيّة والتحرّكات الجسديّة باعتبارها أيضًا مشاركة في الدّلالة.

وبما أنّ «**الخطاب بصنفيه منطوقًا كان أو مكتوبا ووسيلة للتواصل ولكلّ نوع ميزاته التي تفرّده عن الآخر**»[1]، فإنّنا هنا سنكتفي بحصر الحديث حول الخصائص المميّزة للخطاب المنطوق.

خصائص الخطاب المنطوق:

يتميّز الخطاب المنطوق بخصائص عدّة، نُدرج أهمّها فيما يلي:[2]

- يستخدم الخطاب الجملة النّحوية البسيطة التي تقترب من الخطاب اليومي.
- يعتمد المتكلّم على عناصر صوتية تحدّد المراد من المعنى.
- يحتوي الخطاب على بعض الجمل غير التامة أو الناقصة
- يتعدد الحذف والفراغات في الجمل لاستعانة المتكلّم بالحركات والإشارات والإحالة إلى العالم الخارجي الذي يتفاعل معه الخطاب مباشرة.
- يعدّ التكرار بجميع مستوياته أبرز سمات الخطاب المنطوق.
- يرتكز على توظيف الأفعال الماضية والمضارعة وابتعاده عن المبني للمجهول.
- يستخدم لغة الخطاب اليومي التي ترتبط بالمجتمع والبيئة الخارجية.

1- الحواس بلخيري: الخطاب المنطوق والخطاب المكتوب من منظور تداولي، ص 353.
2- محمود عكاشة: لغة الخطاب السّياسي، ص 335- 336- 337.

هذه إذن هي الخصائص الأهمّ المتميزة للخطاب المنطوق من بين خصائصه الكثيرة والتّي يتّضح جليًا من خلالها؛ ابتعاد هذا النّوع من الخطابات عن كلّ أشكال التّعقيد والتكلّف التّعبيريّة، في حين ارتكازه أكثر على قوّة تأثير العناصر الصوتية _التنغيم مثلا_ على المتلقّي.

الفصل الأول

آليات التشكيل اللّغوي والبلاغي في خطبة محفوظ نحناح

المبحث الأوّل: الصياغة البلاغية للخطاب السياسي.

أولا– المقدمة الاستهلالية وفن الإلقاء للخطبة السياسية.

ثانيا– بلاغة المخاطب وجمالية اللغة في الخطاب السياسي.

المبحث الثاني: حجاجية الخطاب السياسي وأساليب الإقناع.

أولا– سلطة المخاطب (المخاطب المهيمن).

ثانيا– التضمين الإشاري والغطاء العاطفي في الخطاب السياسي.

ثالثا– أفعال الكلام ومتضمنات القول في الخطاب السياسي.

نتناول في هذا الفصل بالدراسة والتحليل النقدي لأهم المكونات اللّغوية المشكلة لخطاب الشيخ محفوظ نحناح "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، إذ سنركز على دور الصياغة اللّغوية وآليات تشكيل الخطاب السياسي كوحدات لغوية تحيل إلى عاملين مهمّين وهما: جمالية الإلقاء والأسلوب اللّغوي ثم علاقة الصياغة البلاغية بأهداف وغايات الخطاب السياسي، سنقسم هذا الفصل إلى مبحثين أساسيين، المبحث الأوّل نتناول فيه الصور البلاغية ممثلة في مقدمة استهلالية، وبلاغة المخاطب والبعد الفنّي التصويري للغة الخطاب السياسي، على غرار الكشف عن الصور البيانية ووظائفها المختلفة في تشكيل الخطاب السياسي، وكذلك تصنيف الحقول المعجمية الموظفة في الخطاب السياسي ومدى مناسبتها مع مضمون أهداف الخطبة، أمّا المبحث الثاني فمن خلاله سنسلط الضوء على حجاجية الخطاب السياسي وأساليب الإقناع، انطلاقا من سلطة المخاطب الأحادي والمهيمن بوصفه طرفًا مهمًا في تشكيل الخطاب السياسي، كما سنكشف في هذا المبحث عن عدّة آليات مشكّلة لبلاغة الخطاب من منظور حجاجي، مثل آلية التضمين والغطاء العاطفي في الخطاب السياسي وآليات التوجيه وآلية الحجاج والإقناع، وكل ما يتعلق بأطراف العملية التخاطبية.

المبحث الأوّل: الصياغة البلاغية للخطاب السياسي.

أولا– المقدمة الاستهلالية وفن الإلقاء للخطبة السياسية:

من خصائص فنّ الخطابة بشكل عام أنّه يحوي مجموعة من الخصائص الفنّية على رأسها المقدمة الاستهلالية، التي تعدّ نقطة استحواذ من طرف المخاطِب على المخاطَب، وهي بمثابة أرضية يخلق فيها نوع من شدّ الانتباه والتشويق وإبداء الاحترام والمجاملة والتحية والترحيب على غرار تحديد الغايات المرجوة من الخطبة السياسية.

ينطلق محفوظ نحناح بعبارات التسليم والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو يتجنب تلك الخطب السياسية البتراء التي لا تستهل بالتسليم والتحميد، كما نجده يركز على الترحيب بكل الحاضرين بشكل مفصّل ولا يستثني أحدًا، وقد استعمل أسلوب تراتبي أثناء عملية الترحيب وهو أحد الأساليب المحترفة التي يقدّم فيها السياسيون خطاباتهم أمام الجماهير متعدّدة المشارب والإيديولوجيات «**حضرات السادة، الإخوة والأخوات، رئيس المكتب الولائي، أعضاء مجلس الشورى، الإخوة الحاضرين من الأحزاب ورجال الأعمال من المثقفين والتجار والإطارات، أحييكم فالسلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته**»[1].

ولا يكتفي بهذا القدر فحسب بل يضيف عبارات استلطافية، من شأنها إعطاء قيمة للمتلقي الذي جاء ليستمع كلامًا يريحه ويخرجه من دائرة اللافهم إلى الفهم، وتبرز هذه القيمة مخاطبة القلوب الباحثة عن مشعل الحرية والخروج من ظلمة التخبط السياسي التي كانت تعيشه الجزائر في تلك المرحلة، يقول محفوظ نحناح: «**أحيي**

1– محفوظ نحناح، خطبة بعنوان: "**دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة**"، تيزي وزو– الجزائر، 21 أكتوبر 1993، انظر الموقع الالكتروني على قناة اليوتيوب:

https://www.youtube.com/watch?v=0F5aVY_xe2Y&ab_channel=hmstlemcen

تاريخ النشر: 21 مارس 2018، آخر تحديث: 01 أوت 2022. على الساعة: 15:00سا ، الدقيقة: من 0:37 إلى 1:00.

فيكم نبض الإيمان الذي يتحرك في قلوب الجميع، أحيي فيكم شعلة محبّة هذا الوطن العزيز الذي أصبح يتلاعب به المزيفون من أهل التدين والمزيفون من دعاة الديمقراطية»[1].

في المقدمة الاستهلالية للخطبة يشرع المخاطِب في تحديد الأهداف والغايات بشكل تدريجي، مستعرضا إشكالية الواقع السياسي في الجزائر، ويستعمل لفظة «**نأسف**» كدلالة على وجود أزمة سياسية، يصفها بالتزييف والتضليل والديماغوجية، الذي ترتب عنه خروج بعض الأحزاب عن مبدأ المشاركة الصحيحة، وعدم الالتزام بروح الديمقراطية واحترام الحريّات العامة والأساسيّة من أجل الخروج من الأزمة، إذ يقول: «**انتقل هذا التزييف إلى بعض الأحزاب ولا منجاة للجزائريين ولوحدة الجزائر وحاضرها ومستقبلها إلاّ بإزالة اللّبس والتزييف والتضليل والديماغوجية التي أصابت بلادنا حتى النخاع، وهذا يتطلب من جميع المخلصين ومن جميع الأطهار في هذا الوطن العزيز أن يتجرّدوا خدمة لوطنهم، وأن يترّفعوا عن أنانيتهم وحبّهم لذواتهم وأحزابهم وتشكيلاتهم**»[2]، هذا الأسلوب الذي أطلق عليه "أوستين" في ثنائيته الأوستينية (الوصف/الإنجاز)، «**فالعبارات الإنجازية لا يحكمها مقياس الصّدق والكذب، ويتحقّق مدلولها بمجرّد النّطق بها**»[3].

في هذه المقاطع الاستهلالية استطاع المخَاطِب أن يقدم تبريرات لسبب إلقاء الخطبة السياسية موضوعها الرئيس، فجاءت العبارات اللّغوية مهيأة لمضمون الخطبة ومستويات التلقي لدى المُخاطَب، لمعرفة الخطوط العريضة التي ستسير عليها، ويعدّ هذا الأسلوب من الأساليب الناجحة من أجل لفت الانتباه وشدّ المتلقي نحو المُخاطِب لربط مستويات اللّغة مع مستويات الفهم والإدراك، فالمقدمة الاستهلالية ضرورة حتمية ذات تكوين لغوي خاص يستجيب لمتطلبات وخصائص الخطبة السياسية.

1 – **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 1:02 إلى 1:40.

2 – المصدر نفسه، الدقيقة: من 1:58 إلى 2:53.

3 – خليفة بوجادي: في اللّسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2012م، ص77.

ثانيا– بلاغة المخاطب وجمالية اللغة في الخطاب السياسي:

ترتبط بلاغة الخطاب السياسي بمستويات اللغة وأساليب توظيفها في الجمل وسياقاتها المختلفة، فالتصور القائم على أنّ الخطاب يمثل مجموعة الجمل المشكلة لنصوص مرتبطة بمكون خارجي (اجتماعي) تسمح بتحقيق الوظيفة الشعرية والإفهامية والإبلاغية، وتعبير ملقي الخطاب عما في نفسه إلى جانب حاجته إلى مساهمة المتلقي في الخطاب حيث يتحول المتلقي من مجرد مستقبل إلى طرف مشارك في الاتصال اللغوي، وهو ما يعطي تناغم بين لغة الإلقاء ومدلولاتها لدى المتلقي، لذلك فإنّ مؤسس الخطاب السياسي يعتمد على مجموعة من الأدوات اللغوية ويستثمر فيها من أجل بناء خطاب منسجم ومتسق يحقق المقبولية والمقصدية، ومن بين هذه الأدوات نجد الأسلوب الإنشائي والخبر والإيقاع والنبر والتنغيم، والإحالة والتنصيص والحذف وأدوات الربط والتبرير والحجاج وغيرها من الأدوات اللغوية التي تساهم في الفعل التواصلي الذي هو «**ظاهرة مرّكبة وضرورية دالة على استمرار العلاقة المتينة بين طرفين أو أكثر**»[1]، وتشييد بناء الخطبة السياسية، وهي عناصر صوتية وتركيبية ودلالية تساهم في الخطاب المنطوق والمقروء معا، بالإضافة إلى الإيماءات والحركات المصاحبة أثناء الإلقاء لما لها من قدرة تأثيرية في الجماهير ومدى تحقيق عنصر الاستيعاب والفهم الصحيح دون أي تشويش أو تحوير من شأنه الخروج من مقاصد الكلام الحقيقية.

يعدّ الأسلوب الإنشائي من الأساليب الكثيرة التي اعتمدت عليها خطبة الشيخ محفوظ نحناح، وهي أحد الأساليب التي تتميز بها الخطابات السياسية بحكم وجود أطراف مباشرة مستقبلة للخطاب (الجمهور) فقد ورد في الخطبة أساليب إنشائية مثل النداء، وقد استخدم فيه "أيها الشعب الجزائري، يا معشر، إخواني، بناتي أبنائي أحبابي، معشر الأحبة، معشر الحضور، يا أيها المؤمنون، أيها المواطنون " والتي وردت بشكل كبير بين فقرات الخطاب لأداء وظائف اتصالية متباينة بحسب سياق الخطبة وسبب كثرة هذه الأساليب الإنشائية في الخطاب هو

(1) الأزهري أبو منصور: تهذيب اللّغة، تح: محمد عوض، ج12، دار إحيار التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، ص165.

أن موضوع الخطاب "دور الحريات السياسية" استغرق معظم الحديث أثناء حواراته المباشرة الموجهة للجماهير الحاضرة، وقد تنوعت النداءات والصيغ بحسب نوعية الحضور، فبعضها متعلق بالعلاقات الاجتماعية والآخر بالوطن وبعضها ديني وآخر جماهيري، وهذه التقنية تقرب المستمع من الملقي وتضعه في حالة استيعاب دائم حتى يستطيع المخاطب كسر الملل والتركيز على المضامين بشكل مستمر.

كما استعمل الشيخ محفوظ أسلوب الاستفهام والتعجب في الكثير من المواضع، ونرجع ذلك إلى عدم وجود نقاش ما بين الملقي والمتلقي، فاستعمال أسلوب السؤال والجواب يدفع إلى خلق تعدد أصوات حوارية تمكن الجمهور من الحصول على أجوبة كانت تتبادر لأذهانهم، والمخاطب الذكي هو الذي لا يترك الخطبة في مسار سردي حكائي دون كسر الحديث حين يجد لبسا في بعض الأفكار التي يطرحها، ونأخذ أمثلة عن هذه الأسئلة التي وزعها بين فقرات الخطاب ليحث نوعا من الانسجام بين الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية:

-"الدولة الحديثة يفترض فيها أن تفتح المجال لأصحاب الحقوق ، لمن ؟ - لغير المسلمين"

-هل تقتل هذا النصراني وتقتل ذاك المجوسي أم تتركه جانبا وتقول لا حق لك؟ أم تستفيد من طاقته؟ ثلاث أسئلة، الجواب : الدولة الحديثة تستفيد من كل طاقات المجتمع حتى وان كانت تلك الطاقة تمثل الأقلية – الأقليّة الدينية."

-"حسين آيت أحمد، تكلم كلاما في ذلك الوقت وما يزال كلامه إلى الآن حاضرا، لماذا لا يؤخذ برأيه في ذلك الوقت؟ ولماذا لا يؤخذ برأيه البارحة أو اليوم أو غدا؟ أليس جزائريا تجمعنا به جزائريتنا؟ أليس رجلا يمكن أن نأخذ ببعض آرائه؟ لكن النظرة الأحادية التي أفرزت لنا الدكتاتورية وأفرزت لنا معاني الاستبداد الثقافي والاقتصادي أدى

في النهاية إلى ظهور استبداد ديني"[1].

نلاحظ أنّ المخاطب يسأل ويجيب فهو يمارس أدوار لغوية متعددة من منبر واحد، واستطاع أن يخلق حوارا متعددا من داخل خطابه، فالإجابة القبلية يمكن وضعها تحت قابلية التكذيب والتصديق معا لو نظرنا إليها من منظور تداولي، لكن كلّما كان السؤال مقصودا ومحدّدا بعناية جاءت الإجابة تبريرية حجاجية من أجل رسم قناعات لدى المتلقي بأنّه يمتلك ذلك السؤال قبل طرحه من طرف المخاطَب، وهذا الأسلوب في الخطابات السياسية يهدف إلى بالدرجة الأولى إحداث توافق بين تصوّرات المرسل والمرسل إليه، فكلّما كانت نسبة التوافق حقّقت الخطبة أهدافها المسطرة مسبقا، والخلاصة أن الأساليب الإنشائية تبعث نوعا من الحيوية والحركة في مراحل الخطبة السياسية، وتستعمل كثيرا مقارنة بباقي الأساليب الأخرى لأنّها تعبّر عن حاجة مُلقي الخطاب إلى مساهمة متلقيه الذي يصبح طرفا مشاركا في الخطاب السياسي، لأنّ طابع الخطبة كان أحاديا لا يسمح بتدخلات الجمهور، لذلك فهذا النمط الإنشائي التساؤلي يعطي فسحة كبيرة للجمهور للمشاركة دون طرح أيّ سؤال.

من بين الأساليب والصيغ اللغوية التي اعتمدها الشيخ محفوظ نحناح في تحقيق قيم بلاغية في خطبته السياسية استعماله للمحسنات البديعية مثل السجع والطباق والمقابلة، وهي أساليب ذات قيم صوتية لها علاقة بالمستوى الدلالي، فقوة اللفظ والنغم الموسيقي تزيد من قوة المعنى والدلالة، وفي هذا المثال يجمع الشيخ محفوظ بين المقابلة والسجع في قوله: "والمفروض أنه من ليس معي هو أخي، إن لم يجمعني به الدين، فليجمعني به الطين"[2] فنهايات الألفاظ (أخي/معي/يجمعني/الدين/الطين) أحدثت جرسا موسيقيا رنانا التقت فيها بلاغة اللغة مع بلاغة الحكمة من المعنى المقصود، فإن لم تجمعنا وحدة الدين تجمعنا وحدة الوطن والتراب، وقد أسهم هذا التوظيف البديعي في خلق جمالية للنص، وفي نفس السياق يقول: "وفي ظل رائحة البارود وفي ظل تخاصم الأصدقاء،

1 – **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 8:40 إلى 9:20.

2 – المصدر نفسه، الدقيقة: من 9:43 إلى 9:55.

وعداوة الإخاء"[1]، نجد لفظتي (الأصدقاء/الإيخاء) تحقق انسجاما صوتيا مع طبيعة موضوع الفكرة التي كان يريد إيصالها، وهذه التركيبات الصوتية هي مألوفة لدى المتلقي يمكن أن تحدث إيقاعا مشتركا مع المرسل للخطاب الذي يعي مسبقا بمستويات الفهم والإدراك والتي يمكن للغة أن تبعث قوة دلالية إضافية للمعنى المباشر، فحضور السجع والمحسنات البديعية يخلق التشويق والمتعة والرضى لدى الجمهور، وكثيرة هي المحسنات البديعية في الخطبة السياسية مثل قوله أيضا: " أنا في اختفاء السوق وليس في اقتصاد السوق"، "إثبات الهوية الباديسية لا الباريسية"[2]، وكذلك التقابلات والتضادات الواردة في الملفوظ الآتي: "لكي يكون لهم دور في بناء مستقبل لهذه الجزائر التي أصبحت وكأنها سفينة تهب عليها الرياح من جميع الجهات بغية إغراقها وكسر أجنحتها وارتطامها بالصخور ذات اليمين وذات الشمال ولكن هيهات، لأن السفينة الجزائرية سفينة عميقة الغور فسيحة الأرجاء يمكنها أن تسع الظالم والمظلوم، والمعتدي والمعتدى عليه، والجاني والجاني عليه"[3]، فالتضادات مثل (اليمين/الشمال/الظالم/ المظلموم/ المعتدي/المعتدى عليه/ الجان/الجاني عليه)، خلقت إيقاع حسّي وزادت الخطاب بلاغة وفصاحة في القول ورصانة في المعنى، والترتيبات الكلامية تجعل المتلقي يحس بنوع من الانسجام في بناء الخطاب لغويّا، وهذه التعبيرات اللغوية يمكن أن تكون مأثورة أو منقولة لكنّها في سياق الخطاب يمكن أن تؤدي معاني متعددة تخدم الفكرة التي أراد المخاطب إيصالها للمتلقي وبالتالي تخدم مقاصد الكلام وتعزز من الاستجابة السريعة للدلالات التي يُحتمل أن تكون مبطنة وتحتاج إلى تأويل من طرف المتلقي وخاصة حين تقترب الأقوال من الأمثال والحكم الشعبية المعروفة لدى الجمهور المتلقي.

1 - **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 16:09 إلى 16:16.

2 - المصدر نفسه، الدقيقة: من 38:28 إلى 38:32.

3 - المصدر نفسه، الدقيقة: من 13:05 إلى 13:43.

يستعمل "الشيخ محفوظ نحناح" بعض الصيغ اللّغوية مثل الإقلابات والإبدالات والتكرارات، مثل قوله: "من هذا الذي يقتُل؟، ومن هذا الذي يُقتَل؟، من هذا الذي يعتَقل؟، ومن هذا الذي يعتَقل؟"[1]، وقوله: "ولهذا جاء في القرآن الكريم " لا إكراه في الدين ، جاء في القرآن الكريم : " لكم دينكم ولي دين" ، " لكم دينكم و لي دين" ، وهذه نقرؤها في كل صلاة فجر ونقرؤها في كل صلاة شفع " قل يا أيها الكافرون –حتى نختمها– لكم دينكم ولي دين"[2]، ونلاحظ أنه ينسخ خطابا بسيطا بجدر كلمات قريبة صوتيا وبصيغ متعددة (قتل/يقتل/يعتقل) وهي قريبة دلالية فما بين القتل والاعتقال دلالة قوية، وجاء التوظيف في نسق لغوي فني جعل فيه اللفظ يتحوّل من صيغة إلى أخرى دون إخلال بالمعنى، بل أسهم هذا التوظيف في توضيح المعنى وتقريب الصورة إلى المتلقين وكذلك الحال في قوله: "إن إسلامنا علّمنا من أن يكون تحت مظلّته القوميات واللّغات والأجناس والمذاهب والسلالات من باب التكامل في صناعة المجتمع وليس من باب التآكل"[3]، ففي لفظتي (التكامل/التآكل) رمزية تقابلية بين فعل التضامن والتفاعل الاجتماعي، والأنانية والنديّة الاجتماعية، وقد استطاع بهذا التوظيف اللغوي الجمالي أن يعبر عن صورة المجتمع الذي فرقته العنصرية والنزاعات العرقية والثقافية، والخطاب السياسي كلما كان قريبا في تصويراته المجردة لواقع المجتمع نحو واقع ملموس كان له وقع لدى المتلقي الذي دائما يجد صعوبة في تفسير بعض الظواهر التي يعيشها، وتأتي اللغة هنا شارحة واصفة لواقع المجتمع وبالتالي فإنّ بنية اللغة في الخطاب هي تمثيل حقيقي لبنية المجتمع الذي يعبر عنه الشيخ محفوظ نحناح في هذه الخطبة السياسية.

يوظّف الشيخ "محفوظ نحناح" في خطبته من أجل تحقيق انسجام بين الوحدات الخطابية أدوات الربط بشكل كبير مثل: (الواو، ثم، لكن، قد، الفاء، اللام، الباء، لا، في ، إلى....)، ونأخذ مثالا بسيطا من قوله: "وتيزي وزو" منطقة من مناطق الجزائر العريضة الشاسعة تعطي كما أعطت وتأخذ كما أخذت وتقتبس كما

1 – **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 14:33 إلى 14:43.

2 – المصدر نفسه، الدقيقة: من 20:17 إلى 20:32.

3 – المصدر نفسه، الساعة: من 1:09:15 إلى 1:09:39.

يقتبس منها غيرها"[1]، وقد أسهمت هذه الحروف في صناعة خطاب متّسق تركيبيا ومنسجم دلاليا، وخاصة أثناء سرده الخطابي باللّغة الفصيحة التي يمكن فيها ملاحظة التكثيف من وسائل الربط، فالجمل جاءت قصيرة في أغلب مقاطع الخطبة وهذا ما يتطلّب كمّا هائلاً من أدوات الربط من أجل تحقيق الانسجام بين الفكرة والأخرى ويستعمل حروف النفي والتأكيد والنواسخ لأداء وظائف إبلاغية تواصلية ليس لتحقيق الاتساق بين الجمل القصيرة والتي أحيانا تأتي أحادية وثنائية على غرار الوقفات والحذف الذي يحدث أثناء بعض وقفاته الصامتة حين يرجع إلى الورقة التي يسجل فيها ملاحظاته حول موضوع الخطبة، وفي هذا المثال نلاحظ هذا التجلي الذي يمزج فيه بين بيان الحرف والفكرة والمجاز والتوظيفات اللغوية المختلفة، يقول: "لا يمكن أن تقهر على قبول فكرة، قد تسجنني قد تقهرني، قد تقطع لساني، لكن لا تستطيع أن تمنع تفكيري، فرق بين أن تكره الناس، " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين "، " لست عليهم بمسيطر"[2]، في هذا المثال يستعمل النفي والتوكيد في نفس الجملة، والتشبيه الضمني والاستعارة في السياق نفسه (لا يمكن/ لا تستطيع/تقطع لساني/تمنع تفكيري)، هذه العبارات الدالة على الاستبداد وقمع الحريات، ومنع حرية التعبير والتفكير، فالأسلوب ضمنيا يحيل إلى واقع وحال السياسة في الجزائر، وهذا التصوير اللغوي هو إحالة لفعل مضمر من القوى السياسية التي سلبت حقوق الناس في الممارسة السياسية وحق التعبير عن آمالهم وطموحاتهم في التغيير، ويختم الكلام بتناص من القرآن الكريم (لست عليهم بمسيطر) في إشارة بأنّ الناس أحرار ولا سلطان على تفكيرهم ولهم حرية التعبير واتخاذ قراراتهم والتعبير عن أحلامهم المهضومة في وطنهم الذي حرّروه بالدم والمال والجهد والجهيد.

واعتماد الشيخ محفوظ نحناح في خطبته على أشكال بلاغية مثل الكناية والاستعارة أسهمت في التأثير على المتلقي، وإقناعه بمضمون الخطاب السياسي، والمعنى البلاغي هو المعنى المجازي الذي يعدل إليه مرسل

1 - **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 15:24 إلى 15:42.

2 - المصدر نفسه، الدقيقة: من 21:16 إلى 21:36.

الخطاب من المعنى الحقيقي المعجمى (اللغة العادية) الذي وضع له في أصل اللغة، ومن أمثلة ذلك، في الاستعارة وهي من أكثر صور المجاز في خطبة الشيخ محفوظ السياسية، وهي التي تبدو فيها اللغة المجازية أو التصويرية ، مثل: "يأكل رمضان"، "فقدان الثقة هو الحلقة المفرغة التي تغذيها بعض الأصابع الشريرة"، "لا نريد أن ننسلخ عنه ولو قطعنا إلى ذلك أكباد الإبل"[1]، وهذه الاستعارات جعلت المعنوي في صورة حسية مجسدة قابلة للإدراك لدى المتلقي، وهي صور تلتقي مع واقع الجزائري المعاش، ونلاحظ أن تلك الصور تجسم المعنوي وتبسطه ، وتجعل له وجودا فعالا ، وتعطى الجامد حركة، ونشاطا في صورة حية متحركة يمكن للجمهور أن يحدث نوعا من التفاعل الإيجابي، وعليه فإنّ جمالية هذا التوظيف الاستعاري يعطي قيمة أدبية وفكرية للخطاب السياسي، وكذلك الحال مع توظيف الكناية ، مثل : "المعارضة التي تنهى عن المعروف و تأمر بالمنكر نرفضها"[2]. كناية عن النصيحة الإيجابية، فالمعارضة= النصيحة= الدين ، وقوله أيضا "أراد قطع غصن شجرة وهو كان في الشجرة فسقط ومات"[3]، كناية عن القتل غير العمدي، وقد عملت تلك المعاني البلاغية على إضفاء حسّ جمالي على لغة الخطاب السّياسي وخلق وظائف حسيّة لمتلقي الخطاب.

رابعا: توظيف الحقول المعجمية ودورها في بناء الخطبة السياسية.

وضع المخاطِب "محفوظ نحناح" عدّة حقول دلاليّة انسجمت مع طبيعة الخطاب ومحتوياته، ومن بين هذه الحقول نجد حقل القومية (**أمتنا العربية، أمتنا الجزائرية، بلاد القبائل، بلاد الشاوية، المزابية، الشرق، الغرب الشمال، الجنوب، الوحدة القومية، الوحدة الوطنية، وحدة التراب الوطني عاداتنا، تقاليدنا،...**)، وقد أسهمت هذه الألفاظ المتعلقة بالقومية العربية والجزائرية في ربط العقل الجزائري بثوابته المتجردة في أعماق تاريخه والسياسي الناجح عليه أن يقدم هذه الإرسالات لتقبل الخطاب الذي ينسجم مع ما يعيشه في محيطه حتى لا

1 – **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: 57:00 .

2 – المصدر نفسه، الدقيقة: من 57:20 إلى 57:26.

3 – المصدر نفسه، الساعة: 1:00:59 .

تبدو الأفكار المطروحة خارجة عن عالمه وأمته، واستعمل أيضا ألفاظا معبرة عن حقل الدولة الحديثة (**السيادة الوطنية، الاستقلالية الوطنية، السلطة التشريعية، التنفيذية، القضائية، رئيس الدولة، الأمن الوطني،...**) وهي عبارة عن مخزون معجمي يستجيب لطبيعة الخطبة السياسية وأهدافها، فتوظيف هذه الحقول الدلالية كان ضروريا من أجل توضيح المصطلحات السياسية التي كانت تبدو غامضة عند عامة الناس، وكثيرا ما كان الشيخ محفوظ يفسرها بأسلوب بسيط ينسجم مع طبيعة المتلقي الذي يمكن اعتباره من عامة الناس والبسطاء، وذلك الحال مع حقل السياسة (**الانتخاب، الصندوق، الأحزاب السياسية، الديمقراطية، الشورى، مبدأ المشاركة السياسية، المعارضة، الحوار الوطني، الحريات العامة، الاستقلال، وديكتاتورية، البرامج السياسية، النضال السياسي، العلمانية، اللائكية، الشيوعية**.....)، وهي الأخرى مفاهيم ومصطلحات جديدة تعددت وتكررت كثيرا في مقاطع الخطاب السياسي، وقد أدت هذه المفردات دورا بارزا في تشكيل الموضوع العام للخطبة السياسية.

ومن بين التوظيفات الكثيرة للحقول الدلالية نجد حقل الدين (**الإسلام، العقيدة، الحج، الصوم، الصلاة، العبادات، الشريعة، التقوى، الإيمان، الإخلاص، الثبات، الصبر، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الراية الإسلامية، الإحسان، المسيحية، اليهودية، البوذية، الإلحاد** ....)، وهي كثيرة في الخطبة السياسية، وتعكس خلفية المخاطِب الدينية، والإسلامية ومعرفته الواسعة بالثقافة الإسلامية، وطبيعة أن تسهم هذه التوظيفات في تحريك الحس الشعوري للجماهير لأنّ الدين من أهم أواصر وروابط الأمّة التي يُجمع عليها الجميع، فالشعوب بطبعها تميل إلى التديّن لأنّه يعكس ثقافته وهويته وأمجاده، ولأنّ الدين في مجمله دعوات صريحة إلى الالتزام بالأخلاق والقيم النبيلة، ويخاطب فيها الرّوح والنفس والعقل معا، لذلك فألفاظ الدين جاءت بشكل مكثّف وهذا ليس بغريب عن خطابات الشيخ محفوظ نحناح لأنّه كثيرا ما يستعمل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة عن مشايخ الإسلام.

نلاحظ أيضا توظيف حقل الاستعمار (**فتنة الاستعمار، الاستبداد، الظلم، القتل، طمس الهوية، نشر الفتن، الاحتلال، الاستدمار**...)، وهذا راجع للطبيعة التاريخية التي مرت بها الجزائر، والتاريخ يعدّ تصحيحيا لإعادة النظر في المستقبل، وأدب مفردات حقل الاستعمار وظيفة استذكارية بأمجاد ونضالات الشعب الجزائري وظلم الاستعمار للشعب الجزائري، فالجزائر لا تنسى جرائم الاستعمار، والعبرة من الرجوع إلى التاريخ القريب هو إعادة قراءة الحاضر وترتيب البيت الداخلي من أجل بناء مستقبل يجنب الشعب الجزائري من الوقوع في أخطاء الماضي، وقد وظفّ حقل الحرب (**الإرهاب، الفتنة، الذبح، القمع، التشريد، التعذيب، مقاومة، تحرير سلاح، دمار، ترهيب، تخويف، تمرّد**، ....)، وهذه الألفاظ ارتبطت بأزمة التسعينيات، وهي تمثل زمن إلقاء الخطبة، وكلها ألفاظ مستقاة من واقع الجمهور الذي يشاهد بعينه ويعيش بوجدانه والذي هو جزء لا يتجزأ منها، وعرض هذا المخزون المعجمي لم يكن تضليلا للواقع بالقدر الذي جاء توصيفا حقيقيا للأزمة المعاشة لأنّه لا يحتاج لتبريرات، واستخدام حقل الحرب بكثرة ليس من أجل تخويف الشعب، بل من أجل تحقيق أهداف الوحدة الوطنية وترسيخ مبدأ السلام من أجل بناء دولة بعيدة عن كلّ مظاهر العنف والاستبداد والظّلم والقتل والفتنة التي كانت سائدة في تلك المرحلة العصيبة من تاريخ الجزائر.

المبحث الثاني: حجاجية الخطاب السياسي وأساليب الإقناع.

في هذا المبحث نتطرّق إلى بعض آليات الحجاج للخطاب السياسي مستعينين ببعض أدوات التحليل التداولي من منطلق العملية التخاطبية التي تشمل المرسل والمرسل إليه والرسالة وسياق الخطاب (المرجع) فالمخاطِب الملقي للخطبة السياسية يمثل سلطة النص ويديرها كيفما يشاء، لكن التلقي يكون محكوما بمجموعة من القواعد يمكن أن تغير في مقاصد القول بحسب مستويات وحدود التلقي والسياقات الاجتماعية والسياسية والثقافية، فكما يعمل منتج الخطبة على ممارسة سلطته الخطابية من أجل أداء وظائف حجاجية إقناعية كان لزاما عليه أن يراعي الطرف الآخر المتلقي فهو جزء أساسي من الممارسة الخطابية التواصلية، وهو المستهلك الوحيد لها

والمخاطَب الحاضر ليس إلاّ الهدف الذي يشحذ له ملقي الخطبة السياسية كلامه ليحكم سيطرته عليه، وبلاغة الخطاب لا تغدو وفق هذا التصوّر أن تكون أداة تفاعلية من أجل نجاح العملية التواصلية لتحقيق أهداف الخطبة السياسية، ومن الطبيعي جدّا أن يكون هدف المخاطِب التأثير في المخاطَب أو التغلّب عليه إن صحّ التعبير لذلك فهو يحتاج إلى معرفة عميقة بطبيعة الجمهور المتلقي من ناحية أحوالهم ومكانتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والإيديولوجية، ومستويات التصديق والتكذيب، وتطويع الخطاب وفقا لطبيعتهم ومستوياتهم المعرفية والعلمية حتى يحقّق أغراضه من الخطبة السياسية، وعلى هذا الأساس سنقوم بدراسة طبيعة العلاقة بين أطراف العملية التخاطبية وحدودها، والبحث في استجابات الجمهور المتوقعة والمرجوة في السياقات المختلفة مركزين على سلطة المخاطب المهيمن، وإستراتيجية التضمين والإغراء العاطفي، وآلية التوجيه والإرشاد، وبعض الآليات الحجاجية التي يمكن أن نستخرجها من الخطبة السياسية محل الدراسة.

أولا– سلطة المخاطب (المخاطب المهيمن):

تتحدّد سلطة المخاطبة من خلال عدة أساليب وممارسات خطابية بعضها يرتبط بالتشكيل اللغوي للخطبة والآخر يرتبط بفنون الأداء أو الإلقاء الصوتي، وكلاهما مكمل للآخر، وخاصة لما يكون الخطاب منطوقا فالنبر والتنغيم والإيماءات يمكن أن تتشكل من طبيعة اللغة وخصوصيتها الصوتية والتركيبية والدلالية، ونجد عند "عماد عبد اللّطيف" في قوله: «**تشترك هذه الخطابات في مجموعة من السمات أولاً: أنّها خطابات لغوية، قد تشترك في تكوينها أنظمة سيميوطيقة أخرى مثل الصورة والحركة والإشارات والموسيقى، ولكن النظام اللّغوي يظل، غالبا، هو الأساس، ثانيًا: أنّها خطابات بلاغية، فهي آنية براجماتية، تستهدف تحقيق الإقناع أو التأثير أو كلتيهما، وكونها خطابات بلاغية يعني أنّ وظيفتها تتجاوز مجرد الإخبار إلى الإقناع والتأثير أو**

كلتيهما»[1]، وهنا نقف عند طبيعة الصوت وسرعة الأداء وجملة من الحالات النفسية مثل الغضب والفرح والزجر والابتسامة والعتاب والأمر والنهي والتي كانت واضحة في الخطاب المرئي والمسموع عند الشيخ محفوظ نحناح، ففي قوله على سبيل المثال نأخذ الجملة الخطابية: "أننا أمة عريقة ذات أمجاد كانت مرحلة عسيرة جدا انتقلنا من خلالها إلى مرحلة مقاومة الاستبداد والرؤية الأحادية والنظرة الاشتراكية التي رفضناها منذ نشأتها ثم انتقلنا إلى مرحلة إقرار الحريات"[2]، هذا الملفوظ الذي كان مصحوبا بنبرة عالية مرفوقة بغضب ورفض شديدين، فقوة الصوت مع رفع اليد والسبابة نحو الأعلى تؤكد على وجود موقف حزبي صارم اتجاه الاشتراكية وتبعياتها الاستبدادية، لأنّ الأمر يتعلق بإثبات الهوية الجزائرية، وهذا الموقف يمكن تحديده في سياق زمن ما قبل التعددية الحزبية، فقد عانت الحركة الإسلامية وخاصة في مرحلة الصحوة الإسلامية من النزعة الاشتراكية والمد الشيوعي في أرض الجزائر فصرامة الموقف لدى الشيخ محفوظ تعيد بالمتلقي إلى الماضي القريب والصراعات التي حدثت في مرحلة الثمانينيات.

على الرّغم من التنازلات الحزبية التي كان يقدمها الشيخ نحناح أثناء تناوله بعض القضايا السياسية إلاّ أنّ النزعة الإيديولوجية جاءت مغلفة في ثوب وطني مع استخدام إستراتيجية الخداع والتضليل واللعب بمفردات اللّغة لتمكنه من تحقيق السيطرة والهيمنة على المخاطَب؛ أي التحكم في صياغة نسق اللّغة والتماهي بسلاسة مع معتقداته واتجاهاته وسلوكياته التي تعبر عن خلفيته الحزبية بما يجعله يعتقد ويتجه ويسلك وفقا لمصلحة منشئي الخطاب، ويمكن تأكيد هذا الكلام في نقده الشديد للكثير من الإيديولوجيات وخاصة العلمانية، فاستخدامه لتقسيمات تفصيلية لأنواع اللائكيات الموجودة في الجزائر لم يكن عبثا، فقد رفض بعضها رفضا شديدا والأخرى انتقدها بنوع من التحفظ، مع أنّه لم يثن عليها ولم يمجدها ولا يدعو حتى إلى تبنّيها، بل قدمّ صورة سلبية عنها

1 – عماد عبد اللّطيف: بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، الملتقى الدولي، العدد الثامن، 23–24نوفمبر، قسم الأدب واللغة الإنجليزية، ص8.

2 – **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 18:46 إلى 19:10.

واكتفى بضرورة الحوار مع العلمانيين واحترام أفكارهم، ورؤيته وموقفه واضح من العلمانية بكل أنواعها وتوجهاتها وقد استحوذ على الخطاب بفرض قناعاته الشخصية والحزبية على الجمهور والذي يحتمل وجود علمانيين من الحضور وقد ضرب مثالا ليعزّز موقفه حين تحدث عن شخصية " عمي سليمان" وهو لائكي لا يعترف بالحركة الإسلامية، يقول عنه بعد وفاته: "يا إخواننا عمي سليمان رحمة الله عليه كان يقول: أريد فهم هذا الإسلام، ما هو الإسلام؟، لكن فقدناه النهار الثاني – الله يرحمه و يوسع عليه – تكون عندكم صورة على الموضوع ، لا تقل هاذ الإنسان الذي يقرأ الفرنسية كافر – لائكي – الذي لا يدرس العربية كافر ، لا هذا كلام غير صحيح ، تجد عنه إيمان أفضل من إيمان غيره ، نحن نعرف أناسا يقرؤون كتبا بالعربية ويقرؤون الإسلام والقرآن وتجدهم كفارا"[1] في هذا المثال يريد تقديم صورة إيجابية عن العلماني المسلم، وفي المقابل يشير إلى المسلم غير الملتزم بدينه، فالعبرة ليست بالمسميات والرؤية السطحية للإسلام، في ظاهر الكلام أنّه يرثي فقيدا لائكيا يريد فهم الإسلام من أبناء الحركة الإسلامية، ويجعل من قصته مع "عمي سليمان" حدثا شخصيا يتماشى مع النزعة الإسلامية التي يسوغها في خطاب رسمي يخدم توجه الحزب الرافض للعلمانية جملة وتفصيلا، وعليه فإن الكشف عن هذه الهيمنة في سرد القصص من الواقع هي محاولة لفرض إيديولوجية الحزب بالطريقة التي تستعمل بها هذه الخطابات السياسية لتحقيق أغراضها، وهذا يعني أن وعي المخاطَب ضئيلا مقارنة بملقي الخطاب الذي يكون على دراية بالكيفيات التي توظف فيها الخطابات الجماهيرية اللغة بشكل سلس ومهذّب كنوع من السيطرة والمقاومة وهيمنتها على وعي المتلقي البسيط الذي غالبا ما يكون عرضة لاستقبال كل ما يقال له.

اعتمد خطاب الشيخ "محفوظ نحناح" على الكثير من التفاصيل والتفريعات، والأسلوب التصويري الممزوج بالقصص السردية من التاريخ والواقع، ونقل الأخبار بشكل عشوائي والانتقال من فكرة إلى أخرى يمكن أن يعكس تزاحما للأفكار وتدفقا للمشاعر فيحدث حالة من الشتات الذهني لدى المتلقي الذي يمكن أن تغيب عنه

1 – **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الساعة: من 01:13:15 إلى 1:13:54.

الرؤية في تحديد بعض الأهداف المبطّنة من الخطاب السياسي، وفي الغالب يقدم ويمرّر المخاطِب قناعات حزبية لها وعائها الإسلامي ممّا يمكن أن يجعل الخطبة السياسية أرضية خصبة لإقناع المتلقي والضغط عليه من دون أن يشعر، ويعتمد على مفردات واقعية متداولة في الخطاب اليومي، مفردات تلمس حسّ الجمهور وآماله وتطلعاته فالخطاب السياسي تحت الصدمة يجعل المخاطب فوقيّا ممارسا لسلطته لأنّ موضوع الخطبة يحيل بشكل مباشر إلى الخروج من الأزمة التي يعيشها المتلقي المغلوب على أمره سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وأمنيّا.

ثانيا– التضمين الإشاري والغطاء العاطفي في الخطاب السياسي:

تعدّ الإشاريات من أهّم مقوّمات التّحليل التّداولي وهي عبارة عن «**علامات لغوية لا يتحدّد مرجعها إلاّ في سياق الخطاب الذي وردت فيه**»[1].

تنوعت الإشاريات في الخطاب السياسي محل الدراسة، بين إشاريات شخصية ومكانية وزمانية وخطابية وأدت وظائف تداولية كما خلقت مساحة كبيرة من التواصل والتفاعل بين طرفي العملية التخاطبية كما لها تأثير قوي في لفت انتباه واستعطاف الحاضرين، وخاصة أنّ الخطاب السياسي جاء منطوقا ما استدعى تبديلات كثيرة في الإستراتيجية الإشارية والاستدلالات المعبرة عن سياق الحدث والزمان موقع الخطاب السياسي والظروف المؤسسة في تشكيله، ولنا أن نفصل فيها مع ذكر بعض الأمثلة التوضيحية من الخطبة السياسية.

1– الإشاريات الشخصية:

المتمثلة في «**الضّمائر الدّالة سواء على المتكلّم أو المخاطب أو الغائب**»[2]. وظفّ الشيخ محفوظ نحناح في خطبة السياسية الكثير من الإشاريات الشّخصية في صيغ متنوعة، منها ما هو مباشر يعبر عن الشخصية

1 – حمادي مصطفى: تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني: مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، مجلة الأثر، جامعة الجيلالي اليابس، بلعباس (الجزائر)، العدد26، سبتمبر2016م، ص64.

(2) المرجع نفسه، ص65.

ذاتها كالأعلام والمسؤولين والشخصيات التاريخية والسياسية، ومنها ما هو بضمير مستتر مثل ضمائر الغائب (هو هي، هم) وضمائر المتكلم (نحن، أنا، أنتَ، أنتِ، هو، هي...)، ونلاحظ هيمنة الإشاريات الشخصية للأعلام والشخصيات التاريخية كمّا ونوعاً مقارنة بباقي الإشاريات الأخرى، والتّي تعبّر في أغلب المواضع عن أفعال الشخصيات المسؤولة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وما يتوافق مع نمطية الإلقاء للخطبة السياسية، التي تضع القارئ أمام ردود فعل قوية للإحساس بالذات الإخبارية واستقلاليتها في رسم أحداث والوقائع الاجتماعية ذات اهتمام المواطن، كما أنّ استخدام الإشاريات المتعلقة بالذات المخاطِب تحيل إلى النزعة الحزبية التي تستدع في الغالب ضمير المتكلم (أنا) مثل: "حاشا ما عاذ الله **أنا** ممن يقدّر الأحزاب، و**أنا** ممن عُذّبت في سبيل أن تكون في الجزائر أحزاب"[1]، "**أنا** أحب الإجراءات ، **أنا** أريد إجراءات عملية وحبذا لو تخبرنا يا محفوظ أو يا شيخ نحناح أو يا حماس..." [2]، وهذا الاستخدام المكثّف للإشاريات الشخصية للصّوت المخاطِب لم يسمح له بتقديم وظائف إخبارية تصويرية تفصيلة كان بإمكانه تجنب الوقوع في الذاتية المفرطة، وهذا ربما ما نعيبه في خطبته التي غلب عليها نوعا من النرجسية أو الذاتية المفرطة والتي يمكن أن يراها البعض ثقة بالنفس وقناعات راسخة بصحّة أقواله ومصداقيتها وتصوراته السياسية، ويمكن أن نرجع سبب هذا الإفراط في التوظيف الإشاري لذات المتكلمة كونها شخصية بارزة تحمل ملامح الزعامة أو المشيخة.

2- الإشاريات الزمانية:

تالتي هي «**كلمات تدّل على زمان يحدّده السيّاق بالقياس إلى زمان المتكلّم**»[3]، تطابق إشاريات الزمان (الكونية) في الخطبة السياسية للشيخ محفوظ نحناح أو الكونية مع الإشاريات الزمانية اللّغوية الإخبارية، لكن

1 - **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 44:03 إلى 44:10.

2 - المصدر نفسه، الدقيقة: 51:05.

3- مهدي مشتة ونعيمة سعدية: الإشاريات الزّمكانية ومرجعيتها الخطابية في ديوان "الكبريت في يدي ودويلاتكم من ورق" لنزار قباني-مقاربة تداولية، مجلة الباحث، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، العدد 17، ص78.

في حالة اختلافها لابد من الرجوع إلى سياق التلفّظ الزماني مثل (في الوقت الذي، في وقت قريب، كنا في الماضي، في ذلك الوقت...)، لأنّها مؤشرات تعبّر عن مقصد تاريخي ناقل للأخبار، ولقد جاءت الإشاريات الزمانية الكونية (الحقيقية) محددة بالسنة دون التفصيل في الأيام والأسابيع والشهور، وأحيانا بإشارات للماضي القريب مثل لفظة (أمس، أول أمس، البارحة، قبل أيام ، الأسبوع المنصرم)، وقد طغى على الخطبة السياسية هذا النمط من التوظيف الإشاري الذي يعبر عن سرعة نقل الخبر قبل استهلاكه، والملاحظ أنّ الإشاريات الزمنية في الخطبة السياسية تختلف عن الكتابة الأدبية مثل الرواية على سبيل المثال، والسبب راجع إلى خصوصية هذه السياسية التي تتناول التفاصيل العامة دون توصيف أو تدقيق في الحدث والمشاهد، بالإضافة إلى غياب الحوارات والشخصيات المتكلمة والفضاءات، لذلك جاءت الإشارات في شكل تناوبي ما بين الأفعال في الحاضر والانتقال إلى الماضي وأحيانا الإشارة إلى المستقبل القريب والبعيد لتؤدي وظيفة استشرافية بالدرجة الأولى لواقع الأمة الجزائرية، وهذا ما يستعمله السياسي الذي يستنبط العبر من الماضي وفقا للوقائع والأحداث المعاشة وتقديم رؤى مستقبلية تنسجم مع تحليلاته السياسية.

3- الإشاريات المكانية:

«هي عناصر تدلّ على أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على مكان التكلّم وقت التكلّم»[1]، وظف الشيخ محفوظ نحناح في خطبته السياسية جريدة جملة من الإشاريات المكانية وقد أسهمت في أداء وظائف توضيحية إفهامية وتقريرية وهي وظائف إحالية للأمكنة والجغرافيا التي تلمس واقع المتلقي للخطبة السياسية، ونحن نعرف أنّ الإشاريات المكانية مرتبطة بموقع المتكلم أثناء التلفّظ، لذلك يلزم على المتخاطبين في الخطبة السياسية معرفة وإدراك لحظة التلفّظ ومكانه واتجاهه لأنّه قد يقود استعمال إشاريات المكان، فيتخذها مرجعا تحيل عليه ويؤوّل مكوّنات التلفّظ اللّغوية الإخبارية والابتعاد عن أي لبس وغموض، فهي عبارة عن تحديدات صورية

1- مهدي مشتة ونعيمة سعدية: الإشاريات الزّمكانية ومرجعيتها الخطابية في ديوان "الكبريت في يدي ودويلاتكم من ورق" لنزار قباني-مقاربة تداولية، ص71.

بالأساس، الغرض منها ربط السياق اللّغوي للحدث السياسي المجرد بالسياق المادي الملموس لواقع المتلقي القارئ استعمل الشيخ تفصيلات كثيرة لأمكنة وطنيا مثل أسماء الولايات والدوائر وخصوصيتها، وأمكنة دولية أفريقية أوربية وأسيوية وأمريكية، مثل (تونس المغرب، الصحراء الغربية، فرنسا، ألمانيا بريطانيا، أمريكا كندا، الصومال البوسنة والهرسك، اليابان، الصين، روسيا...) وذلك راجع لطبيعة الحدث السياسي والأزمة الجزائرية التي لا يمكن عزلها عن المؤثرات الخارجية والذي يحتاج فيها ملقي الخطبة السياسية توصيفا دقيقا لمعرفة السياق المكاني التي جرت فيه الأحداث والوقائع وتمكينه من تحليلها وقراءتها سياسيا، والتي تمكن للقارئ أيضا من استيعابها في صورتها الذهنية (المدلول)، أو عن طريق السياق المشير إليه ماديا في الواقع، وكان لهذه الإشاريات مساهمة كبيرة في تشكيل تفاصيل الواقع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأبعاد عن التجريد أو التنظير السياسي، فكلما كانت الإشاريات المكانية تفصيلية وتدقيقية كانت أقرب للحقيقة والتصديق من طرف الجمهور المتلقين على غرار كون بعض هذه الأمكنة لها علاقة بالتجربة الجزائرية من جهة أو لها تأثير على السياسة الداخلية والخارجية.

4- الإشاريات الاجتماعية:

«تشمل الملفوظات التي تشير إلى العلاقة بين المتخاطبين»[1]، وظّف الشيخ محفوظ في الخطاب السياسي إشاريات اجتماعية بشكل مكثف مزج بين أسلوب النداء والوقف بشكل مخصوص يتناسب مع طبيعة إلقاء الخطب السياسية، وهي كثيرة مبنية على العلاقات الاجتماعية التواصلية للشخصيات السياسية بشكل رئيسي ولأنّ التحليل التداولي يهتمّ بالإشاريات الاجتماعية وذلك لعلاقة اللسانيات الاجتماعية في بيان أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الخطاب وموضوعه، وفي بيان مراتبهم وأجناسهم، وأثر السياق غير اللغوي في اختبار التنوعات اللغوية البارزة في كلامهم، ويتضح لنا هذا الأثر في التعبيرات اللغوية للملفوظات المختلفة الموظفة في الخطبة السياسية، مثل تعبيرات المقام والرفعة والألقاب (الرئيس، الوزير، فخامة، الشيخ، الإمام، الدكتور، العلامة

1- حمادي مصطفى: تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني، ص68.

رجال الأعمال، رجال الإعلام، الزعيم...)، وبعض الإشاريات الاجتماعية مثل (السادة، السيدات، الإخوة الأخوات، الشعب، جماهير، الأبناء، الأمهات، الآباء، معاشر الأحبة، الصديق، الزميل...)، والتي هي الأخرى لا تنفصل عن طابعها السياسي، وقد لاحظنا أن الخطبة السياسية لا تركز على الإشارات الاجتماعية المتعلقة بالفرد والأسرة، والسلوكات الإنسانية لأن الخطبة السياسية لا تركز على الحوارات بين الشخصيات كما الحال مع الرواية التي تعتمد بشكل كبير على هذه الأنواع من الإشاريات، وعليه يمكننا القول أن السياق السياسي لنقل الأخبار في الخطبة السياسية تركز على الإشاريات الاجتماعية المحددة للألقاب والمقامات السياسية أكثر من غيرها من الإشاريات الأخرى.

ثالثا– أفعال الكلام ومتضمنات القول في الخطاب السياسي:

تحوي الخطبة السياسة على مجموعة من الأفعال التوجهية أدّت وظائف كلامية مختلفة، تراوحت ما بين الأمريات والنهييات والاستفهاميات والتحذيريات وغيرها من أفعال الكلام التي يمكن تحديدها عن طريق سياق الخطاب (مقام الخطاب)، وسنحاول في هذا العنصر أن نبرز أهم أفعال الكلام الواردة في الخطبة وتحديد وظائفها التداولية والحجاجية.

1– الأمريات وأسلوب التوجيه الجماهيري:

لم تأت أفعال الأمريات في الخطبة السياسية بشكل مباشر، وتكاد تكون منعدمة من أفعال الأمر، وهذا ناذرا ما نجده في الخطب السياسية لأنّ الخطابات السياسات تعتمد على وظائف الطلب والتنفيذ والتكليف عن طريف أسلوب الأمر ، وما نجده في الخطبة محل الدراسة أن الأمريات جاءت في سياقات مختلفة مضمرة يمكن اعتبارها من الأقوال غير المباشرة أو متضمنات القول مثل قوله: "حتى تكون هناك حرية لابدّ من إلغاء القيود على

الحرية الحزبية"[1]، فالوظيفة التداولية في الملفوظة توجيهية أمرية، وهي دعوة غير مباشرة لفتح الحريات وعدم تقييد الأحزاب السياسية من طرف السلطة الحاكمة، فالخطاب ليس موجه بالضرورة للجمهور المتلقي بالقدر ما هو موجه لمركز السلطة المهيمنة على القرارات التشريعات والمراسيم المحددة لطبيعة عمل الأحزاب السياسية في تلك المرحلة التي عاشتها الجزائر، وفي نفس السياق نجد فعلا أمريا غير مباشر حين يقول محفوظ نحناح: "لابد من وجود جهة تراقب وتلاحظ الأخطاء وتسدد الآراء، لماذا؟، حتى لا ينفرد رئيس حزب برأيه ولا ينفرد حزب لمقترحاته، أو تفكيره ولا تنفرد طبقة معينة، طبقة كادحة ولا طبقة برجوازية ولا طبقة عسكرية ولا طبقة مثقفة تتفرد برأيها، لأن الاستفراد بالرأي هو عين الديكتاتورية"[2]، وجاء هذا الأسلوب في سياق الانسداد السياسي وغياب الحوار وبداية أزمة التسعينيات، والمقصد من هذا الملفوظ الكلام طلبي أمري، مفاده تعيين لجنة مستقلة استشارية يلجأ إليها الجميع في حالة وقوع اختناق بين مختلف الطبقات السياسية، وعلى هذه الشاكلة جاءت تقريبا مختلف الأمريات التي كان يمرر عبر المخاطِب رسائل للسلطة مغلفة بثوب إيديولوجي إسلامي ينسجم مع توجهاته الحزبية وفكره الإخواني الذي يدعو إلى تأسيس هيئة مستقلة يسميها بمجلس الشورى الوطني كهيئة موازية للسلطات الثلاث المستقلة (تشريعية، تنفيذية، قضائية).

2- التحذيريات وتأطير المقام والحجج:

بحكم خصوصية الخطبة السياسية المتعلقة بدور الحريات السياسية في بناء الدولة الجزائرية الحديثة والتي جاءت في سياق زمني مهم فإنّ الشيخ محفوظ نحناح طرح العديد من المشاكل والعوائق السياسية، كما قدم تحذيرات تمثلت في أفعال كلامية ذات حمولة دلالية قوية، تحيل إلى قوة إنجازية موجهة إلى الجمهور المتلقي والشعب عامة، ومن بين هذه الأفعال الكلامية التحذيرية نجد في قوله: "لا حق للمعارضة في إثارة الفتنة"[3]، في إشارة إلى

1 - **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 37:30 إلى 37:36.

2 - المصدر نفسه، الساعة: من 1:14:45 إلى 1:15:35.

3 - المصدر نفسه، الساعة: 1:02:25.

خطورة الوضع السياسي بسبب الفتنة القائمة بين أبناء الشعب الواحدة ومختلف الأحزاب السياسية والقوى الفاعلة والسلطة الحاكمة، ويقول أيضا: "فاعلموا بأنهم قد ركبوا سفينة النجاة وانطلقوا إلى شاطئ الأمان بأقل الخسائر وأقل التكاليف، الجزائر تخسر يوميا 5 إلى 10 أفراد، والجزائري يقتل أخاه والعنف يقابل العنف، العنف يقابله التعذيب، القتل يقابله ملاحقات ومداهمات وتضييع لكرامة الإنسان وحقوق الإنسان"[1]، وفي هذا القول تحذير غير مباشر بأنّ استمرار الوضع على حاله سيؤدي إلى المزيد من احتقان الدماء وقتل الأبرياء بسبب الأزمة السياسية، وعلى هذا النحو تأتي الكثير من التشكيلات اللّغوية ذات مقاصد دلالية تحذيرية من بعض الأفعال الممارسات السياسية والإجرامية التي تحدث في البلاد.

«**فالممارسات البلاغية الإنشائية تدعم سلطوية المخاطب على جمهوره والهيمنة عليه**»[2].

3- البوحيات وقوة التأثير الجماهيري:

يستعمل الشيخ محفوظ نحناح الكثير من الألفاظ الموحية على فعل البوح والإخبار الذي مصدره نفسي اجتماعي مرتبطة بالفتنة والحرب الأهلية، وهي أفعال تعبيرية رافضة للوضع القائم، الغرض منها تداوليا ضرورة الصلح والعدول إلى سلطة العقل وتهدئة النفوس وعودة السلم والأمن للبلاد، ونضرب مثالا على سبيل الحصر في قوله: "هذا العنف الذي طال الجزائريين، لا مخرج منه إلا من خلال المعاني التي تفضل بها من سبقني من إخوانكم وقد تحدثوا معكم، وسأتحدث معكم حديث العقل للعقل، ينضاف إليه حديث القلب للقلب"[3]، وهذا التصريح الذي أراد أن يستهدف به المتلقي بشكل تعبيري ومنطقي لرفضه التام لكل أساليب القتل والتعذيب والاغتيالات وغيرها من الممارسات التي تعاني منها كل شرائح المجتمع، ولاحظنا في الخطبة السياسية أنّه كثيرا ما يستعمل مخزون

1 - **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة" ، الدقيقة: من 13:50 إلى 14:26.

2 - عماد عبد اللّطيف: بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، ص8.

3 - **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة" ، الدقيقة: من 4:10 إلى 4:35.

لغوي ذات حمولة تعبيرية قوية تحيل إلى وظائف إنجازية تعبيرية بالدرجة الأولى، مثل عبارات (يؤسفني، يحز في نفسي، مستاء، أملي كبير، بصراحة...)، وكل هذه الملفوظات أدت وظائف كلامية بوحية عما يجول في خواطره من جـراء ما يحـدث في الوطن مـن ظلم للعباد والبلاد وقـد جاءت مناسبة ومنسجمة مع السياق العام للخطبة السياسية وموضوعها والسياق الحدث والظروف التي تعيشها الجزائر في تلك المرحلة العصيبة من تاريخ الجزائر.

4- الاستفهاميات وإدارة الحوار الخطابي:

استخدم الشيخ محفوظ نحناح أسلوب الاستفهام بشكل كبير كما أشرنا سابقا، وغالبا ما يسأل ويجيب ويستفسر ويفسّر، ويطرح الإشكال ويحلّل ويناقش، فجاء الخطبة السياسية متعددة الأصوات في حوار أحادي دون مشاركة خطابية، فقد كان يدير الخطاب عن طريق الاستفهام المباشر تارة والاستفهام غير المباشرة تارة أخرى، ولا يكاد يخلو مقطع من مقاطع هذه الخطبة من هذه الإشاريات الاستفهامية، وفي هذا السياق يقول: "ألاَ يستطيع الجزائريون أن يثني المتأخر على المتقدم؟ ألا يستطيع أن يقول الجزائري الآن لمن سبقه في العمل السياسي أو العمل الدعوي أو العمل الثقافي، ألا يستطيع أن يقول فيه خيرا؟ ألا يستطيع رجل منا الآن وهو في حزب من الأحزاب أن يتكلم على غيره بكلام يطيّب فيه القلوب ويجبر فيه الخواطر؟ بهذا نستطيع أن نبني الدولة، وعلى الأقل أن نحافظ على هذه الدولة التي لم تصل إلى مستوى الحداثة ولم تتمكن من أن تضع الأسس التي تقوم عليها الدولة الحديثة"[1]، في هذا المقطع الحواري يكثف من الأسلوب الاستفهامي، ويردّ مباشرة بإجابات قصيرة ثمّ يستمر في التساؤل ليترك إجابات ضمينه للمتلقي الذي يمكنه فهم مقاصد السؤال دون أن يجيب عليها المتكلم، وفي موضع آخر يقول: "مشكلة الجزائر ما هي الآن؟: هي فقدان الثقة، المحكوم لا يثق بالدولة والدولة لا تثق بالمحكوم الأحزاب لا تثق بالدولة والدولة لا تثق بالأحزاب، وموضوع فقدان الثقة هو الحلقة المفرغة التي تغذيها بعض

1 - **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 7:16 إلى 8:12.

الأصابع الشريرة سواء في داخل البلاد أو خارجها"[1]، ويمكن القول أنّ هذه الإشاريات الاستفهامية قد أدت وظائف تمثيلية إخبارية يمكن للمتلقي أن يعرفها مسبقا مما يتحول الفعل الإنجازي للاستفهام هنا إلى وظيفة تنبيهية أو تذكيرية ما يسمح للمخاطِب بخلق تجاوب مع باقي الأفعال التقريرية التي يمكن أن تغيب عن المتلقي في الكثير في الكثير من الحالات وخاصة أمام تعدد الرؤى والتصورات ودخول البلاد في فتنة سياسية جرّت وراءها حرب دموية بين أبناء الشعب الواحد.

في ختام هذا الفصل رأينا كيف تنوعت التشكيلات والصياغة اللغوية في الخطبة السياسية للشيخ محفوظ نحناح، فعلى الرغم من كونها خليطا ما بين العامية واللغة العربية الفصحى إلى أنها حققت تماسكا على مستوى الصوت والتركيب والصيغ المختلفة، وتماسكا على مستوى الدلالة والمعجم الدلالي، ورأينا كيف استطاع أن يدير خطاب سياسي بأساليب وتقنيات مختلفة وخاصة أسلوب الاستفهام والحوار الداخلي (المونولوج) واستحضاره للصور البيانية والمجازية أثناء توصيفه للواقع والأزمة الجزائرية، كما لاحظنا أن حضور شخصيته القوية أثناء الإلقاء من خلال النبر والتنغيم والإيماءات الخاصة بالوجه واليدين، على غرار أسلوب الحجاج الإقناع الذي استخدم بشكل لافت للانتباه وخاصة أثناء استخدامه للنصوص القرآنية والتاريخية والقصص التي كان يستدل بها أثناء نقاشه حول موضوع الخطبة السياسة، كما كان للإشاريات بكل أنواعها نصيب في أداء وظائف تداولية وإبلاغية وتواصلية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لاحظنا كيفية إدارة الخطبة السياسية وتغليب سلطة العقل والإيديولوجيا التي يتبناها ويمررها بشكل سلس إلى المتلقي دون أن يحدث أيّ نفور أو انزعاج، وطبيعي جدا من أي سياسي مؤدلج أن يمرر أفكاره وتصوراته أو معتقداته في سياق الخطبة السياسية وأن يمارس دور المهيمن ويبعث برسائل مشفّرة للمتلقي للتحليل والنقاش من أجل تحقيق مستوى كبير من القناعات الخاصة برؤية الحزب الإسلامي (حركة مجتمع السلم) التي يتزعمها ملقي الخطبة السياسية.

1 - **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة" ، الدقيقة: من 32:50 إلى 33:11.

الفصل الثاني

إستراتيجية البناء الخطابي السياسي عند "محفوظ نحناح"

المبحث الأول: الظواهر الخطابيّة في الخطاب السياسي.

أولا– سياق الخطاب السياسي وحدود التلقي:

ثانيا: ظاهرة المزج بين الديني والسياسي في الخطاب.

ثالثا– ظاهرة التناص في الخطاب السياسي:

المبحث الثاني: بلاغة الجمهور.

أولا– لماذا لا يصفق الجمهور.

ثانيا– فخاخ التصفيق.

في هذا الفصل نحاول الكشف عن خصائص تشكيل الخطاب السياسي عند الراحل "محفوظ نحناح" ودور البنية الخطابية في رسم الغرض وكيفية تحكّمه في توجيه العلاقة التفاعلية بينه وبين المتلقي وموضوع الخطبة وسنحاول التركيز بشكل أساسي على دور السياق (الحدث) باعتباره موجها للخطاب السياسي، ومدى تأثيراته المباشرة، وغير المباشرة، المصرح بها وغير المصرح بها، وسنركز أكثر على أهداف الخطاب السياسي ودوره في نقد القوى السياسية المهيمنة (المركز)، وأيضا حضور الجمهور واستجابته في هذه الخطبة، لذلك فإننا نقرّ مسبقا أنّنا نستخدم مقاربات التحليل النقدي للخطاب بما تمليه عناصر دراسة هذه الخطبة السياسية التي بين أيدينا، وخاصة أنها جاءت بشكل منطوق وعشوائية في إلقائها لأنّ سياق الخطاب كان يستدعي الخروج من النص في الكثير من الأحيان.

المبحث الأول: الظواهر الخطابيّة في الخطاب السياسي.

أولا– سياق الخطاب السياسي وحدود التلقي:

لكل خطاب ظروف تاريخية واجتماعية منسوجة بشبكة محكمة من النّصوص والعبارات، تشكل مستوى الوعي والثقافة في مجتمع ما، التي سمّاها "عماد عبد اللّطيف" بالذخيرة الخطابية في قوله: «**لدى كلّ أمّة ذخيرة خطابية تصنع تاريخها وتشكل وعيها، وتتكوّن هذه الذّخيرة من نصوص وكلام يشقّ طريقه إلى ذاكرة الأمّة ليصبح جزءا لا يتجزأ منها، ويرتبط مثل هذا الكلام وهذه النّصوص –في الغالب– بشخصيات استثنائية وعامّة، ما يكون نتاج لحظات تاريخية بالغة الخصوصية، تكون فيها حواس الأمّة مهيّأة ليلقيه والانفعال به**»[1].

فلدراسة أي خطاب مهما كان نوعه وصنفه لابد من وضعه في سياقه الثقافي والاجتماعي فالظاهرة الخطابية محكومة بسياق تفاعلي زماني ومكاني، وحتى يتمكن دارس الخطاب السياسي عليه أن يحدّد أولاّ الموقف والظرف الذي جاء فيه هذا الخطاب، وطبيعة وموضوع الخطاب هل هو استعجالي أم روتيني أم مرحلي؟، لذلك فإنّ نوع وموضوع وغرض ومناسبة وزمان ومكان وملقي الخطاب ومستقبليه كلها عوامل تؤثر في صيرورة الخطاب ومضمراته، وبطبيعة الحال ونحن نقف أمام خطاب سياسي موضوعه الحريات السياسية في الجزائر في مرحلة تاريخية مرت بها الجزائر، مرحلة ما بعد الأحادية الحزبية، فقد أسهمت كل الحركات العمالية والطلابية والسياسية والإصلاحية في بداية الثمانينات إلى خلق توتر لدى السلطة الحاكمة في الجزائر، ما سمح للرئيس الراحل الشاذلي بن جديد فتح الحوار لنطاق واسع من أجل الخروج من الأزمنة السياسية الخانقة التي عاشتها البلاد، وتأزمت أكثر بعد أحداث أكتوبر 1988، وبعد هذه المرحلة بدأت الجمعيات والأحزاب والمنظمات في التشكل تدريجيا لتدخل

1 – عماد عبد اللّطيف: بيان التنحي وذاكرة الهزيمة، مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي، ص16.

الجزائر في مرحلة ما بعد الأحادية الحزبية نحو حوار شامل أدى إلى وضع أرضية لفتح المجال للمشاركة السياسية والمشاركة في الحكم، وهنا نقف قليلا مع موضوع الخطبة السياسية التي جاءت على لسان الراحل محفوظ نحناح كونه رئيس حزب حركة مجتمع السلم آنذاك، الخطاب جاء في أكتوبر 1993، ومن المعروف أنّ حزبه لم يشارك في الانتخابات المحلية والتشريعية، بل عملية تأسيس الحزب جاءت متأخرة، وسبقتها عملية تأسيس جمعية الإرشاد والإصلاح الوطنية كدرع اجتماعي ثقافي قبل تأسيس حزب سياسي، من هنا نستنتج أنّ زمن هذه الخطبة السياسية لم يكن تحضيرا لانتخابات ما بعد مرحلة الأحادية الحزبية، بل لأسباب تتعلق بالوضع الأمني بالجزائر، وبداية الأزمنة السياسية بين السلطة الحاكمة والجبهة الإسلامية للإنقاذ التي تمّ حلها بعد فوزها بأغلبية المقاعد في المجالس البلدية والوطنية.

إنّ الفضاء التواصلي لهذه الخطبة يبعث نوعا من الغرابة أمام تصاعد المدّ الإسلامي وظهور تيارات إسلامية متشدّدة بدأت تنادي بضرورة الجهاد والصعود للجبل وغيرها من الأحداث التي كانت حركة مجتمع السلم في توجهاتها السياسية ضدها وبمعزل عنها، وهنا يتبّين لنا ذلك الاختلاف بين رؤى الجماعة الإسلامية للإنقاذ وحركة مجتمع السلم، وهذا الخطاب السياسي جاء كردة فعل من أجل تصحيح مسار الحركة الإسلامية في الجزائر وإعادة ردّ الاعتبار للإسلاميين في ظروف صعبة أصبحت كلمة إسلام من المحرمات في الوسط السياسي، والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا منطقة القبائل (تيزي وزو) تحديدا، وفي هذا الزمن، وفي فترة حساسة من تاريخ الفتنة وبداية القتل والحرب الأهلية؟، وهنا يشيد محفوظ نحناح بهذا قائلا ومثنيا على دور الإخوة في (تيزي وزو) في ردّ الفتنة وإرجاع الاعتبار للحركة الإسلامية وفق أسس ديمقراطية تنسجم ولا تتنافى مع روح الإسلام وشرائعه التي تتميز بالوسطية والاعتدال، ويتضح أنّ مقام الخطبة جاء بدعوة من أهل المنطقة في يوم دراسي من أجل طرح بعض التساؤلات المتعلقة بطبيعة المرحلة، يقول محفوظ نحناح: "وقد استطاعت مدينة (تيزي وزو) في عزّ الإرهاب والعنف أن تستقبل يوما دراسيا يلتقي فيه بعض أبناء الجزائر ليتحدثوا مع أبناء هذه المنطقة، وتيزي وزو منطقة من

مناطق الجزائر العريضة الشاسعة تعطي كما أعطت وتأخذ كما أخذت وتقتبس كما يقتبس منها غيرها، وأردنا أن نتحدث عن مشكلة أيها الإخوة؛ مشكلة الدولة الحديثة وأهميتها من خلال نظرتنا نحن في هذه الحركة المتواضعة التي تريد أن تعطي في ظرف التحولات الدولية وفي ظرف الموازنات الإقليمية، وفي ظل رائحة البارود وفي ظل تخاصم الأصدقاء، وعداوة الإخاء"،[1] ونستطيع تحديد موقف المخاطَب والمخاطِب معا من خلال هذا الملفوظ الخطابي، وهي النقطة المشتركة التي يجمع عليها الجميع وهي وجود أزمة سياسية وحالة احتقان بين الجزائريين واختيار منطقة يراها الكثير أنها منعزلة عن الساحة السياسية، يأتي محفوظ نحناح ويراها محورا رئيسيا ومنبرا مهما لتسوية الأوضاع وطمأنة النفوس.

لكلّ خطاب سياسي مكسب ومنفعة من ورائه، ومعرفة هذه المكاسب التي تحيط بهذا الحدث والموقف السياسي محدد يساعدنا في تفسير معاني الخطاب المضمرة لأنّه غالبا ما يكون أسيرا للسياقات التي جاء فيها وكذلك الحال مع طبيعة المشاركين في هذا اليوم الدراسي الذين هم من أبناء المنطقة والعاملين في حركة مجتمع السلم وكل أطياف المجتمع وتنوعاتهم الثقافية والاجتماعية والعمرية، ولا يجد محفوظ نحناح حرجا في توضيح غاياته النبيلة في الإصلاح وتنوير الرأي العام ويصرح أنّ وجوده في منطقة القبائل فرصة لإيصال أفكاره التي يراها ضرورية ومرحلية يتوجب على كل مواطن جزائري أن يفهمها ويعيها في هكذا ظروف تستدعي تماسك الشعب الجزائري يقول: "في هذا الصدد أردنا أن نتسلل إلى هذه المنطقة، لنعبّر عن جملة من آرائنا وأفكارنا، ليس من باب المهرجانات الخطابية، ولا من باب التحريض، وإنما من باب أن يخاطب العقل العقل، وأن نستحث في الحاضرين ليبلغوا الغائبين غيرتهم على وطنهم وغيرتهم على دينهم، وغيرتهم على الدولة التي ضحى أبناء هذه المنطقة بفلذات أكبادهم منذ فترة تعد بأكثر من قرن، منذ لالة فاطمة نسومر وما قبلها إلى اليوم، أردنا من خلال هذا اليوم الدراسي وعاش الأحبة، أن نخاطب فيكم ماذا نقصد بالدولة الحديثة لأن هناك هجمات متكررة تقول بأن الحركة

1- محفوظ نحناح، خطبة بعنوان: **"دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"**، الدقيقة: من 15:07 إلى 16:16.

الإسلامية ليس لديها مشروع وهذا من قبيل زرع الشبهات وبالأخص أن الحركة الإسلامية لم يسبق لها وأن كان لها دور في مراكز صناعة القرار، الحركة الإسلامية عانت وماتزال إلى الآن تعاني من القهر والقمع والتعذيب والسجون والملاحقة والمداهمة"[1]، ويحاول أن يقدّم محفوظ نحناح رسالة واضحة وصريحة دون أي نزعة عنصرية أو إسلامية من شأنها زيادة تأزيم الوضع، وقد قدّم ثلاثة رسائل واضحة نوردها كالآتي:

- الحفاظ على مكتسبات الدولة الجزائرية ونضالات الشهداء والمجاهدين عبر التاريخ ويذكر فضل منطقة القبائل في تحرير الجزائر أثناء الثورة وقبلها.
- الحفاظ على الهوية الجزائرية الإسلامية والوطنية وردّ الشبهات على الحركة الإسلامية والصحوة الإسلامية التي سعى بعض الأطراف إلى تشويهها.
- توضيح معالم الدولة الحديثة التي تنسجم مع مقومات الشعب الجزائري وثوابه وثقافته المتجذرة في التاريخ.

إن التمظهرات الزمانية والمكانية للخطاب السياسي تضع المتلقي أمام مجموعة من الإرسالات والمضامين ففي تلك المرحلة كانت هناك حركات سياسية تعمل على تقزيم بلاد القبائل وزرع الفتنة والشبهات والأكاذيب، ليأتي الخطاب في لقاء سريع وفي زمن حساس، وجميع الوحدات الخطابية على مدار الخطبة السياسية كانت تدعو إلى لغة الحوار والتمسك بروح الديمقراطية وتقبل الآخر واحترام الرأي، فالمعرفة القبلية لدى متلقي الخطاب بوضعية المجتمع القبائلي وظروفه وحالة الاحتقان، بالإضافة إلى الاتهامات التي كانت تروج لها بعض الأطراف من المنطقة من أجل خلق البلبلة وتأزيم الوضع السياسي والأمني وخلق فجوة بين أبناء الشعب الواحد، لذلك فإنّ موضوع دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة جاء مناسبا مع سياق الأحداث السياسية والاجتماعية والتاريخية، وطبيعة الاستفسارات والتساؤلات التي كانت تدور بخاطر المجتمع القبائلي والجزائري الذي كان يتطلع لحلول سياسية تخرجه من الأزمة التي كانت تعيشها الجزائر في تلك المرحلة، ويتحدى محفوظ نحناح الموقف في أسلوب

1- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 16:19 إلى 18:09.

سلس دون تملصه من الطابع الإسلامي والوطني لحزبه، ويستطيع إرجاع الثقة للحركة الإسلامية وأنّ المشكلة في فهم الإسلام وليس الإسلام يقول: "وإذا ما كانت الحركة الإسلامية منذ نشأتها منذ أكثر من ربع قرن وهي تعمل من أجل إثبات الهوية، إثبات الهوية الباديسية لا الباريسية، إثبات الهوية لهذا الإقليم الممتد من طنجة إلى جاكرتا ،من طنجة إلى طشقند، إثبات الهوية على أننا أمة عريقة ذات أمجاد كانت مرحلة عسيرة جدا انتقلنا من خلالها إلى مرحلة مقاومة الاستبداد والرؤية الأحادية والنظرة الاشتراكية التي رفضناها منذ نشأتها ثم انتقلنا إلى مرحلة إقرار الحريات، ولعل هذا موضوع حديثنا اليوم، إقرار الحريات والدفاع عن حقوق الإنسان، وكرامة الإنسان من خلال فهمنا لحقوق الإنسان"[1]، وعلى هذا المنوال تقوم الخطبة السياسية التي يرجع فيها إلى أصالة الشعب الجزائري الإسلامية والعربية والأمازيغية وإحاطتها بمعالم القيم السميحة وإقرار الحريات وحقوق الإنسان والعدالة والمساواة في ظل التعددية الحزبية والثقافية، ويقدم رؤيته دون الخروج عن المرجعية التاريخية والثقافية للشعب الجزائري.

ثانيا– ظاهرة المزج بين الديني والسياسي في الخطاب:

لفت انتباهنا في خطاب الراحل محفوظ نحناح أنّه يستعمل إستراتيجية الربط بين ما هو سياسي وما هو إسلامي، فينطلق تارة من مقولات سياسية ويعطيها تأصيلا شرعيا وفق رؤية إسلامية، وتارة أخرى ينطلق من تصورات إسلامية ويعمل عليها إسقاطات سياسية، وهذه الأسلوب في الخطاب تبريري إقناعي الغرض منه وضع الشرائع الإسلامية أمام قابلية وتقبليّة لدى المتلقي الذي أصبح يخاف من كل ما هو إسلامي، ولم يكن المقصد من هذه التقابلات المتنوعة والكثيرة وخاصة أثناء تمثيلاته بالتاريخ الإسلامي محاولة منه لإقناع هياكل حزبه أو الحاضرين في اليوم الدراسي، بل هي رسالة للسلطة الحاكمة، أن الخوف من الإسلام والإسلاميين هو خوف غير طبيعي وأنّ كل محاولات التشويش والتخويف والتضليل لا تغدو أن تكون مجرد مزاعم من أجل نشر الفتنة وإخافة الرأي العام، لذلك اعتمد المخاطب مجموعة من القياسات وحدد الكثير من المفاهيم والمصطلحات السياسية

1- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 18:11 إلى 19:22.

وأعطاها الشرعية، بل الأسبقية في تجربة السلف منذ ظهور الإسلام، ويوضح أنه لا تعارض ما بين الدين والسياسة، والإسلام خادم للسياسة ولا تستقيم السياسة إلاّ إذا رجعنا إلى مقومات الشعب الجزائري الأصيلة فالشيخ محفوظ نحناح له نظرة ثاقبة وعبقرية في توصيل الأفكار في سياقها المناسب دون الخوض في المسائل الفرعية، ولو تأملنا جيدا في الخطبة السياسية لوجدناها يضرب الأمثال من تجارب دولية في مجال السياسة ويعطيها مؤشرات تتماشى مع روح الإسلام، فالدولة الحديثة عنده لا تتنافى مع نظرة الإسلام، يقول: "هذه المعاني وغيرها لا تشبه ما في الدولة الحديثة من خلال نظرة الإسلام إليها، الإسلام ينظر إلى الحرية ليس تكتيكا ولا بسبب ضغط خارجي، ولا بسبب ضغوطات اقتصادية واجتماعية أو سياسية في البلد، وإنما ينظر إلى الحرية على أنها حق من حقوق الناس، من يعمل بها يعتبر كمن يؤدي ركعتين لله، الذي يعمل في إطار منع الحريات، كمن يعمل على منع الناس من تأدية الصلاة، الذي يعمل على منع الناس من أن يعبروا عن آراءهم وأفكارهم وأيديولوجياتهم الذي يمنعهم من هذا، سياسيا أو إعلاميا أو حزبيا أو ثقافيا أو اجتماعيا، كمن يمنع الناس من تأدية ركن الحج أو تأدية ركن الصيام، لأن الإسلام يدعوك لكي تعمل على فتح المجال أمام هذه الحرية، وعدم إعطاء الحرية معناه الدكتاتورية. ولهذا يرفض الإسلام رفضا قاطعا وحاسما أن تكون هناك دكتاتورية"[1]، وهنا نرى أنّه يتعمّد هذا التقريب الذهني للمتلقي ويقدّم صورة إيجابية للإسلام الذي يدعو إلى احترام الحريات والمعتقدات الدينية، والحرية وحقوق الإنسان والعدالة والمساواة ليست صنيعة الديمقراطية الغربية، فالإسلام وكل شرائعه تحث على ذلك ويوطّد محفوظ نحناح تلك العلاقة بين الديمقراطية والحرية في الإسلام، ويعطي الأسبقية والفضل للإسلام، وما يتغنى به الغرب مجرد شعارات فضفاضة ورنانة مغلفة بديمقراطية مزيفة.

يركّز كثيرا محفوظ نحناح على عنصر الديكتاتورية كنقيض للديمقراطية، ويوضح كيف أنّ الإسلام يرفض كل ما هو ديكتاتوري وعصبي، بل يترك مساحة كبيرة من الحريات القائمة على احترام الآخر حتى لو كان كافرا، كما

1- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 27:15 إلى 28:43.

ينبه لخطورة الدعوات القائلة بأنّ الإسلام مانع للحريات وأحكامه لا تصلح لبناء الدولة الحديثة، وفي هذا الصدد يقول: "الإسلام يرفض الدكتاتورية ولو جاءت باسمه، الإسلام يرفض الدكتاتورية ولو جاءت باسم الدين، فحتى لو كان يقول أنا لدي الكتاب من عند ربي نزل حتى أحكم عليك بالقوة أقول لا، لأنّ الإسلام يقول لي لا ينبغي أن تكون مطيعا لإنسان يفرض عليك الديكتاتورية، أو لحزب يفرض عليك الدكتاتورية، أو لقطاع اجتماعي يفرض عليك الدكتاتورية باسم طبقة البروليتارية مثلا أو الطبقة الكادحة مثلا أو الأيديولوجية الاشتراكية أو الشيوعية مثلا أو العلمانية مثلا، لا تقبل إلاّ ما يكون بينك وبينه انسجام وبهذا تتكون القضية الجوهرية التي فقدت الدولة سلطانها عليه وهو الثقة، مشكلة الجزائر ما هي الآن؟ هي فقدان الثقة، المحكوم لا يثق بالدولة والدولة لا تثق بالمحكوم، الأحزاب لا تثق بالدولة والدولة لا تثق بالأحزاب، وموضوع فقدان الثقة هو الحلقة المفرغة التي تغذيها بعض الأصابع الشريرة سواء في داخل البلاد أو خارجها بإثارة ما يحقق مشروعا كبيرا هو مشروع إسرائيل كبرى في النهاية مشروع إسرائيل كبرى من النيل إلى الفرات"[1]، وينفض الغبار عن هذه المعضلة التي من ورائها لوبّيات* سياسية لا تريد للإسلام أن يبقى له قائمة على أرض الجزائر، تلك الدعوات التي تتحجج بأنّ شرائع الإسلام تحرم النّاس من حرياتهم، ولا يمكن وصفها بالدكتاتورية لأنّها لا تسلب منهم حقوقهم، بل تضبطها من أجل تحقيق العدالة والحريات العامة، ومثلها من الأفكار التي تمّ بثها من طرف المستشرقين وأعداء الوطن من الخارج والداخل والملاحظ ثقافة الشيخ محفوظ نحناح الواسعة ودرايته بمختلف الإيديولوجيات العالمية، فرؤيته السياسية لا تقتصر على النص الديني فحسب، بل على رؤية تاريخية وتجارب دولية عميقة سمحت له بإحداث ذلك التقارب بين أيديولوجيته الإسلامية والأيديولوجيات الأخرى، ويؤكد دائما على ضرورة احترام أفكار الآخرين

1- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 31:50 إلى 33:22.

***– اللوبيات:** مفردها لوبي (Lobbying)، مصطلح يستخدم لوصف الجماعات أو المنظمات التي يحاول أعضاؤها التأثير على صناعة القرار في هيئة أو جهة معيّنة، ولها أهداف ومصالح بعيدة المدى هدفها الوصول إليها عن طريق ممارسة ضغط كبير منظم وممنهج قصير المدى على صنّاع القرار.

وعدم الجري وراء الشعارات الفضفاضة التي تزيد من عمق الهوة بين أبناء الشعب الواحد، والإسلام لا يمنع الانفتاح على الآخر، ولا يعاديه.

إنّ التجربة الشخصية للشيخ محفوظ نحناح سمحت له بتقديم الكثير من الأمثلة من حياته الخاصة أثناء ممارساته السياسية وفي محافل كثيرة، يقول بنوع من الطرافة: "تكلمت على عيد الفطر الماضي مع المجلس الأعلى للدولة ، أنا أتكلم معهم على موضوع عيد الفطر وصلاة العيد، قلت لهم: عيب عليكم يا ناس هذه سنة قبيحة كيف بلادنا لا يصلي فيها مسؤول صلاة العيد، المفروض يصلي صلاة العيد، اذهب وصليها كيما قالو: "صلاة القياد الجمعة والعياد" يعني حتى يكون نوع من احترام الناس، احترام الرأي العام، هذا مجتمعنا ولابد أن نحترمه وهذه هي الحرية أنني احترم حرية الآخرين ولا اعتدي عليها"[1]، وهنا سريعا ما ينتقل من موضوع مهم وهو احترام المسؤول الجزائري شرائع الدين الإسلامي لأن دين الدولة هو الإسلام، ويطرح القضية في المجلس الأعلى للدولة لأنّ الأمر كان مقصودا، وهذا ليس اعتداء على حرية المسؤول، لأنّ المسؤول اعتدى على الثوابت والمقومات التي تأسست عليها الدولة الجزائرية، وهو يخاطب حامي القانون والدستور وليس مواطن عادي، واحترام الدولة احترام للشعب والحرية هي أن تحترم الآخر بسلوكاتك كمسؤول أمام المواطن الذي ينتظر احتراما لقوانين الدولة وثوابت الأمة.

يردّ محفوظ نحناح على المتشددين في الدين وأصحاب النظرات الضيقة والمتشائمة من الفكر الإسلامي ويستهدف جماعة بعينها من جماعة(هذا حلال وهذا حرام)، الذي جعلوا كل حلال حرام قبل أن يكون الحرام محدودا والباقي حلالا، وكثيرا ما نجده ينقل أفكاره بأسلوب بسيط قابل للفهم والإدراك لعامة الناس التي أنتابها بعض الأفكار، ويقدم للمتلقي تلك العلاقة بين مفهوم الديمقراطية الحديثة والشورى في الإسلام وأن الاختلاف يصنعه الفهم الخاطئ للديمقراطية، كما يمكن فهم الشورى بالخطأ إذا تم فهم الإسلام فهما غير صحيح، فالمشكلة

1- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 46:02 إلى 46:40.

ليس في الإسلام ولا في الديمقراطية بالقدر الذي أصبح المسلم مستهدفا أمام نصوصه الدينية وعقائده وشرائعه يقول عن بعض الأفكار والتصورات السلبية عن الإسلام: "بعض الناس متصورين الدولة الإسلامية لحية كبيرة الحاسوب لا يجوز، الكهرباء لا تجوز، الكاميرا لا تجوز، النظارات لا تجوز –لم يستعملهم النبي عليه الصلاة والسلام –السيارة لا تجوز، الطائرة لا تجوز، سبحان الله لابد أن نعلم بأن الدولة الحديثة l' état modernes النبي محمد عليه الصلاة والسلام هو نبينا جميعا للعرب والقبائل للأمازيغ للشاوية للمزاب للأسود والأبيض والأمريكي، الكل، هذا الرسول عليه الصلاة والسلام وضع لنا les grandes lignes خطوط عريضة قال لنا عند بناء دولة – اعملوا بهذه الكلمة فقط، "وأمرهم شورى بينهم"، ولا تفعل أي قرار خطير على مصير شعب إلاّ بعد الديمقراطية –بلغتنا نحن– (الشورى)، أردتم ثورة زراعية شاوروا الشعب، أردتم ثورة ثقافية شاوروا الشعب، يعني أعمل الصندوق ، لكن القرآن ليس فيه كلمة صندوق الانتخاب ، voté oui ولا non لالا ، قالك : "وأمرهم شورى بينهم"، بمعنى قدم له فرصة ليعبر عن رأيه بكل حرية – أعطيني رأيك[1] وهذا المزج بين الخطاب السياسي ويسهم في تقريب الفكرة والصورة دون أي تعقيدات لغوية أو فكرية يمكن أن تضع الخطاب في خانة التأويل المفتوح، المقام يستدعي شروط التبسيط واحترام طبيعة المتلقي الذي يمتلك فهما سطحيا، فالخطاب موجه للأمي والمتعلم والجاهل، والمعرفة القبلية للمخاطِب تلزمه تقديم شروحات تنسجم مع طريقة تفكيره ورؤيته للعالم، والصورة التقابلية المفسرة لمصطلحات السياسة تستدعي تمثيلات من الواقع المحسوس والمعاش، فكثيرا ما يتأثر بسطاء الناس بالدعاية والمغالطات، وجاء هذا الخطاب السياسي بغلاف إسلامي ووطني قصد إحداث علاقة تفاعلية بين ملقي الخطاب ومتلقيه.

وفي نفس السياق يكمل الشيخ محفوظ حديثه حول الكليات الخمس للإسلام ويربطها بحقول الإنسان والحريات قائلا: "ولعل هذا موضوع حديثنا اليوم، إقرار الحريات والدفاع عن حقوق الإنسان، وكرامة الإنسان من

1- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة" ، الدقيقة: من 51:17 إلى 53:15.

خلال فهمنا لحقوق الإنسان، من خلال الكليّات الخمس التي وضعها الأصوليون، في تاريخنا الإسلامي، الكليات الخمس قد أتكلم عنها بعد قليل، الكليات الخمس التي تكلم عنها الأصوليون وليس الأصوليون بالفهم الذي يفهمه بعض رجال الإعلام الآن على أن الأصوليون هم les fondamentalistesأو هم المتشددون أو هم المتعصبون، الأصوليون في تاريخنا غير هؤلاء، الأصوليون شيء آخر، وهم علماء الأصول، الذين وضعوا أصولا لفهم حقائق الإسلام ومقاصد الشريعة ومعرفة أبعاد الإسلام، ولعل من أعظم أبعاد الإسلام هو إعطاء الحرية للإنسان"[1]، وهنا ينوه لنقطة مهمة وهي البروباغندا الإعلامية* ودورها السلبي في إرسال بعض المفاهيم الخاطئة عن حقوق الإنسان في الإسلام، وقد كان الإعلام في تلك المرحلة يدس السم في العسل ويختبئ وراء إيديولوجيات مقيتة من أجل تشويشه الإسلاميين وتنفير المسلمين منهم، ودافعهم سياسي من أجل إبعاد الإسلاميين عن الممارسة السياسية، وقد أوضح محفوظ نحناح ذلك دون الإشارة المباشرة، ويردّ ذلك إلى عملاء الخارج في الداخل الذين يخوفون الناس من الإسلاميين في حالة وصولهم للحكم، ووسائل الإعلام(التلفزيون والجرائد) كانت أحد هذه الوسائل المدفوعة لتشويه برامجهم السياسية والتضييق على نضالهم السياسي والسلمي.

ثالثا– ظاهرة التّناص في الخطاب السياسي:

يمكن الانطلاق في تحليلنا للتّناص من الخلفية الإسلامية والتاريخية والثقافية للشيخ محفوظ نحناح، باعتبار «التّناص هو تعالق نصوص مع نص بكيفيات مختلفة، وهو فسيفساء من نصوص أخرى أُدمجت بتقنيات مختلفة»[(2)]، فالخطاب بشكل عام والخطاب السياسي بشكل خاص يتطلب معرفة واسعة وشاملة حتى تستجيب لمتطلبات الحدث والعصر، فالخطبة السياسية التي لا تتكئ على أرضية معرفية تكون جافة ولا تحقق أهدافها

1- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 19:10 إلى 20:12.

*- البروباغندا الإعلامية:مصطلح يشير إلى نشر المعلومات بطريقة موجهة أحادية المنظور، وتوجيه مجموعة مركزة من الرسائل بهدف التأثير على آراء أو سلوك أكبر عدد من الأشخاص، وهي مضادة للموضوعية في تقديم المعلومات، وبتعريف مبسط هي عرض المعلومات بهدف التأثير على المتلقي المستهدَف. http://ar.wikipedia.org/wiki .

2 – جمال مباركي: التّناص وجمالياته في الشّعر الجزائري المعاصر، رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، 2003م، ص50.

ولاحظنا أن الشيخ محفوظ نحناح كثير التمثيل للنصوص الدينية والقصص التاريخية، وقد أسهم مخزونه الثقافي في إثراء خطبته وإعطائها روحا تجعل من القارئ قارئا مستوعبا ومعتبرا، والتناص كآلية قد لا تكون مقصودة من طرف المخاطب، بالقدر الذي تكون فيه العفوية في الأسلوب المهيمن على الوحدات الخطابية التي غالبا ما كانت تستدعي نماذج من التاريخ الإسلامي والتاريخ الجزائري واستحضار النصوص التكميلية والتفسيرية لوسائل حجاجية بغية التأثير في الآخر، وفي من بين هذه التناصات نجد التناص التاريخي والديني الذي امتزج كثيرا أثناء عملية قص بعض الأحداث من ماضي السلف الصالح، يروي نحناح قصة الصحابية التي أخذ برأيها قائلا" "في صلح الحديبية العنصر الذي أنقذ الموقف، وهي قضية كانت ستسيل فيها دماء كثيرة لولا الله – عز وجل – وتدخل امرأة – مرأة هي التي تدخلت وحلت مشكلة سياسية بين الرسول عليه الصلاة والسلام والمشركين ثم بين الرسول والصحابة –كانت ستقوم مشكلة بينه وبين الصحابة – هي التي أنقذت الموقف وقالت يا رسول الله افعل كذا وافعل كذا، فاستمع إليها واستجاب لها ونفذ مقترحها فكان بتنفيذ مقترحها حقن دماء، واكتساب مساحة حريات وفتح باب للوصول إلى فتح مكة بعد سنة أو سنتين بسبب أخذه برأي امرأة"[1]، والقصة أخذت بعدا آخر وهو دور المرأة في الممارسة السياسية، فالإسلام لا يمنع المرأة من حقوقها السياسية والاقتصادية، بل يؤكد أنّ الدولة الحديثة تمنح المرأة حقوقها السياسية جنبا إلى جنب مع الرجل، في إشارة إلى هؤلاء الذين يقزمون دور المرأة في أشغال البيت ودورها الولادة وإرضاء رغبات الرجل، الإسلام يحترم المرأة في عقلها ومشاعرها ويساوي بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات، وعلى كل مسلم أن يبعد تلك النظرة الدونية والاحتكارية لدور المرأة في جميع مجالات الحياة، ويضرب الكثير من نضالات المرأة الجزائرية قبل الثورة التحريرية وإبانها وبعدها، فلا ينبغي إقصاء العنصر النسوي من الممارسة السياسية فهو حق مشروع لها، ومن حقها إبداء الرأي لأنها جزء لا يتجزأ من هذا الوطن.

1- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 54:17 إلى 55:20.

ونستشف تناصا آخر من الأقوال المأثورة عن خليفة المسلمين عمر بن الخطاب فيقول: "عارضوا ولهذا كان عمر رضي الله عنه يقول : "رحم الله امرئ أهدى إليّ عيوبي " كان يبحث على المعارضة ، لما يقول لك : "الدين النصيحة " معناه وجود المعارضة، النصيحة هو أنك ترى في أخيك عيبا هو لم يره في نفسه – وتقول يا فلان فيك العيب الفلاني عليك أن تصلحه، هذا نوع من أنواع المعارضة المهذّبة فمن جهة معارضة تبني بها مجتمع société ومن جهة معارضة عندك عليها أجر يوم القيامة ، حتى كي تعارض يعني أنك تقول كلمة حق، تقول كلمة طيبة، عندك عليها أجر، ولهذا نحن في العمل السياسي الذي نتكلم عليه هو عمل سياسي يعتمد على أصول إسلامية نبتغي من وراءها الأجر"[1]، واستحضار هذه الأقوال المأثورة عن الصحابة تؤكد مرة أخرى تشبّع الشيخ محفوظ نحناح بالثقافة الإسلامية، وتمرير نصوص من التراث الإسلامي ليس بالضرورة يكون مقصودا لأنّ سياق الحدث السياسي يستدعي تمثلات ثقافة المخاطب التي تمثل مرجعتيه الدينية والإيديولوجية التي لا يمكن أن يتهرّب منها مهما كان، ورأينا أن العفوية في الإلقاء كانت غالبة على كل الخطبة وكلما اقترب موضوع الحديث من فكرة له أصولها وثيماتها من الماضي جاء النص الغائب مكملا للنص الحاضر، وهذه الميزة تكاد تكون الأسلوب الذي يتميز به الشيخ محفوظ نحناح لربط بعض المفاهيم مثل المعارضة/النصيحة/الحرية/الدعوة/الحق/العدل/المساواة وغيرها من المصطلحات التي استطاع أن يسوقها بشكل تسلسلي دون إحداث أي اضطراب أو تشويش لدى المتلقي، فحتى وإن كانت هذه النصوص من التاريخ تبدو خارجة عن موضوع الخطبة إلاّ أنّها كانت بمثابة تصويبات تخدم الموضوع بطريقة أو وبأخرى.

ونأخذ مثالا آخر عن قصة الكاتب العام اليهودي الذي كان يعمل لصالح الدولة الإسلامية، الذي كان يتمتع بمهارة عالية ومع ذلك لم تمنعه كفاءته من تولّي منصب سامي في حكم إسلامي، ويروي الشيخ محفوظ نحناح القصة قائـلا: "الدولة الحديثة تستفيد من كل طاقات المجتمـع حتى وإن كانـت تلك الطاقـة تمثل الأقلية

1- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الساعة: من 1:05:12 إلى 1:06:02.

-الأقليّة الدينية- ولهذا في تاريخنا الإسلامي استعان عمر بن العاص بكاتب عام -حسّاب إحصائي- كان يهوديا، ولم ير عمر بن العاص ولا عمر بن الخطاب - أيّة مشكلة في وجود كاتب على مستوى مسؤولية كبرى حتى ندرك أن إسلامنا لا يمنعنا من أن نتعامل مع الأقليات الدينية"[1]، ومن الذكاء والفطنة استحضار هذا النموذج من التاريخ الإسلامي في إشارة إلى هؤلاء الذين يدعون أنّ الحكم الإسلامي يرفض الكفار ويرفض توليهم مناصب في الدولة الحديثة، التناص التاريخي هنا جاء استشهاديا وتبريريا بأنّ الدولة الحديثة حتى لو كانت إسلامية لا تلغي الكفاءات وتحترم الأقليات وتستفيد من طاقاتهم ما داموا يعملون بإخلاص وتفان.

وظفّ الشيخ محفوظ نحناح الكثير من النصوص الدينية والأقوال المأثورة وحتى الأمثال الشعبية أثناء توضيحاته لمعالم الحريات السياسية في الدولة الحديثة، «**ففي الوقت الذي يحظر فيه الكلام عن موضوعات متداولة، وتجارب إنسانية معاشة، ويعاقب من ينتهك الحظر، يؤسس عوالم منمقة لا توجد إلاّ داخل الله ويحاول فرضها على الواقع**»[2]، فتارة ينطلق من الرافد المحلي الجزائري وأحيانا المشرقي وأحيانا الغربي، ويأخذ بمقولة ابن حزم الأندلسي أثناء حديثه عن أصول الاجتهاد في الإسلام «العقل هو مناط التكليف»، وفي موضع آخر يتحدث عن الحديث النبوي الشريف والقصة الذي حدثت مع أسامة بن زيد حين أراد الشفاعة لمرأة سرقت فغضب الرسول عليه الصلاة والسلام قائلا،" أتشفع في حد من حدود الله ؟ يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله ؟"[3]، وهذه الأمثلة الاستشهادية كان الغرض منها إبعاد عقلية المحسوبية من العمل السياسي، فلا يوجد تسامح مع أحكام الله، ولا ينبغي أن يتساهل السياسي في شؤون الأمة وأحكام وشرائع الله عزّ وجلّ، فضروري ترك هذه السلوكات السلبية والتحلي بروح المسؤولية اتجاه الأمة وإلا ضاعت الأمة أمام أفعال تسيئ للحاكم والمحكوم وتصبح الأمور في فوضى عارمة، ويضرب المثل الشعبي من أغنية المرحوم رابح درياسة "اعطيلو الزالاميث كيما قال

1- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الساعة: من 1:07:01 إلى 1:07:43.

2- ينظر: عماد عبد اللطيف: بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، ص8.

3- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 49:30 إلى 49:40.

درياسة" [1]، والمقصود نفعل ما نشاء ولا نبالي، فالإهمال واللامبالاة مفسدة للعمل السياسي، والأمة المجاهدة لا تعرف إلاّ الجد.

من خلال ما سبق لا حظنا كيف أسهمت هذه التناصات –وهي كثيرة– في إعطاء الخطبة حيوية وتشويقا وجاءت النصوص الدينية والتاريخية خادمة لموضوع الخطبة، وأحيانا كانت تكسر الروتين الذي تتميز به الخطب السياسية، وهذا التحوير الخطابي من السياسي نحو التاريخي والقصصي والديني أضفى نوعا من التنوع في أسلوب الإلقاء الذي يدخل البهجة والفرح في نفوس الحاضرين من الجمهور، ويمكننا القول أن المخاطب أحدث قفزات ما فوق النص الأصلي ليتجاوز نصوص أخرى بتفاصيل دقيقة تقرب المعنى وتشرح الغامض وتعطي الشرعية والاستدلالية من أجل تحقيق مستويات عالية من الفهم والإدراك.

المبحث الثاني: بلاغة الجمهور.

شهد مطلع القرن العشرين انتشار رهيب لوسائل الاتصال الجماهيري ممّا أحدث قفزة في عملية المشاركة لعامة النّاس وإبداء رأيها حول القضايا العامة التي يعيشها العالم، فالانتشار المكثّف للصحافة والراديو والتلفزيون سهّل من توغل الخطابات العامة إلى بيوت الشعب من كافة طبقات المجتمع، لينتج "عصر الجماهير الغفيرة" التي أصبح فيها الجمهور جزء من الخطابات يبدي رأيه، فالاستجابة الفعلية للجمهور لها علاقة بتشكل الخطاب، وهذا ما نجده في بلاغة الجمهور، التي جاء بها "عماد عبد اللطيف"، بوصفها توجها بلاغيا يركّز على الاستجابات التي ينتجها الجمهور، وعلاقتها بطرق تشكل الخطاب وأدائه وتداوله، فبلاغة الجمهور وظّفه لدراسة تلك الاستجابات الجماعية في سياقات واقعية فعليّة، تشمل كل ما هو سياسي وديني واجتماعي وفنّي وأدبي...، كما وترى بلاغة الجمهور أنّ تلك الاستجابات الجماهيرية معيار مهّم في دراسة سلطة الخطاب، فنجاح الخطاب سلطويا يقاس

1- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان**: "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الساعة: من 1:10:13 .

«**بقدرته على السيطرة على استجابات مستهلكيه، إنّ السلطة لا تمارس من خلال اللّغة فقط وإنّما أيضا من خلال الاستجابات الموجهة التي تتعاضد معها، فجمهور الخطبة السياسية مثلا لا يتأثر بأداء السياسي ولغته أثناء الخطبة فحسب، بل أيضا بردود الفعل التي يقوم بها الجمهور الفعلي الذي يحضر الخطبة**»[1]، ومنه فقوة الخطاب السلطوي لا تنحصر فقط في تبيان العلاقة بين الخطاب واستجابة الجمهور له «**بل كذلك من خلال إجهاض قدرته على التحكم في استجابات مستهلكيه وتعرية الاستجابات المتواطئة معه**»[2]، من أساليب التلاعب بهذه الاستجابات وعلاقتها بالسلطة والظواهر اللّغوية للخطاب.

إذ تسعى نظرية بلاغة الجمهور التي جاء بها "عماد عبد اللطيف" في كتابه "بلاغة الجمهور" لدراسة بلاغة جديدة مغايرة للبلاغة القديمة المستقرة منذ أكثر من ألفية ونصف، وذلك بتغيير مجال اهتمام البلاغة من المتكلم إلى المخاطب، بحيث تضع في بؤرة اهتمامها تلك الاستجابات سواء كانت لفظية أو غير لفظية، التي ينتجها أشخاص من عامة النّاس في سياقات تلقي الخطابات العمومية، فبلاغة الجمهور تعنى بـ«**دراسة طرق وأساليب إنتاج استجابات بلاغية وفي سياق هذا الاهتمام، يمكن دراسة موضوعات مثل، دور الجمهور في عملية الاتصال وأثر نوع الخطاب (سياسي، دعائي...إلخ)، وطبيعة العلاقة بين المتكلم والجمهور (مثل الحاكم/محكوم، واعظ/متدين...إلخ)، والوسائط المستخدمة ي نقله –التلفزيون، الإذاعة...إلخ) في استجابة الجمهور**»[3]، كما أنّ "عماد عبد اللطيف" وضّح موضوع بلاغة الجمهور أنّها لا تقتصر على الاستجابات التي يقوم بها الجمهور أثناء تلقيه الخطابات وعلاقتها بسلطة الخطاب، التي تسعى هاته الأخيرة لترسيخها، بل أيضا لمساعدة وتمكين الجمهور بأدوات الاستفادة من استجاباتهم وتحويلها إلى ما يخدم مصالحهم

1- عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، مجلّة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، العدد84/83، خريف/شتاء، 2012-2013م، ص513.

2- المرجع نفسه، ص ن.

3- عماد عبد اللطيف: لماذا لا يصفق المصريون؟، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 1430هـ/2009م، ص63.

العامة وإبطال مصالح السلطويون، وهذا النوع الاستجابي الجديد يمكن اعتباره استجابة بلاغية، يساعد في تحقيق غاية وصوت الجماهير.

قامت بلاغة الجمهور على «**تعريف المهارة البلاغية بأنّها، مهارة إنتاج استجابات بليغة، أي مقاومة للخطاب السلطوي وتعرّف البلاغة بأنّها العلم الذي يقوم بتحديد مهارات إنتاج الاستجابات البليغة، ويمرّن على ممارستها، ويعرف الجمهور البليغ بأنّه، من يقوم بإنتاج استجابات بليغة**»[1]، فالبلاغة التي جاء بها "عماد عبد اللطيف" ركّزت على الجمهور، وكيفية تقوية ردّة فعله لصد سلطة الخطاب، عكس البلاغة العادية التي اهتمت بتقوية مهارة المتكلم في استخدام اللّغة للتأثير على المتلقي/الجمهور.

فبلاغة الجمهور لا تدرس الأنظمة اللّغوية التي يتشكل منها الخطاب السلطوي الجماهيري، بل تتجاوز ذلك إلى دراسة السياق الاجتماعي الذي نتج واستهلك فيه، يشارك فيه أشخاص تختلف اهتماماتهم واختصاصاتهم، فالجمهور لد دور فعّال في التواصل الجماهيري المعاصر، حيث يعدّ التصفيق من أهم الاستجابات التي يمكن للجمهور التعبير بها، والتي تدرج في موضوع بلاغة الجمهور[2].

أولا– لماذا لا يصفق الجمهور؟:

في كتاب "عماد عبد اللطيف" أسماه "لماذا لا يصفق المصريون؟" حاول أن يدرس ظاهرة التصفيق في جمهور الخطب السياسية المصرية، وقد بناه على محور لماذا يصفق المجتمع المصري أثناء الخطب السياسية، وقد سمى المجتمع المصري مجتمعا تصفيقيا بامتياز، حيث قدّم تعريفا تاريخيا لظاهرة التصفيق في مدخل الكتاب، الذي صرذح بأنّه لا يوجد ما يؤكد متى بدأ الإنسان التصفيق، وإلى أي حضارة ينتمي، كما أنّه لا يعتبره سلوك مستحدث، فهناك إشارات تاريخية تؤكد على وجوده في الحضارة المصرية القديمة، حيث كان التصفيق أداة إيقاعية أساسية في الغناء

1- عماد عبد اللطيف: لماذا لا يصفق المصريون؟، ص63.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص58.

وأيضا وجد في الحضارة اليونانية باعتبارها أقدم حضارة عرفت مهنة المصفق المأجور، إذ يؤجر صاحب المسرحية الجمهور للتصفيق الحار له أمام لجنة التحكيم، وأمّا في الفصل الأوّل ركّز"عبد اللطيف" في بحثه المعمق على رصد الطرق والأساليب المستخدمة لجعل الجمهور يصفق، وكشف الحيل للوصول إلى تصفيق مرتفع الصوت، وممتد الزمن ليعرفنا بكل أنواع التصفيق وتجلياته ووظائفه في المجتمع المصري، ونظرا لمكانة وأهمية التصفيق في التواصل السياسي، فقد وضع "عبد اللطيف" فصلاً كاملاً يدرس فيه التصفيق داخل الخطب السياسية، متناولاً الأساليب المستخدمة في التأثير والإقناع عند أربعة رؤساء مصريين، معطيا أهمية خاصة لمسألة التصفيق والهتاف والعلاقة بينهما.

وبناءًا على هذا الكتاب سنحاول تقديم طرحا معاكسا لما طرحه "عماد عبد اللطيف" **لماذا لا يصفق الجمهور في خطبة نحناح في تيزي وزو؟**، فنجد "عماد عبد اللطيف" قد أشار في كتابه إلى أسباب عدم وجود التصفيق في الخطب السياسية ومنها اثنين أوله ديني وهو ما نجده في المجتمعات العربية، حيث كان هناك نوع من التقييد للجمهور العربي «**إذ كانت مساحة حرية المتلقي العربي في إنتاج استجابته نحو ما يسمعه كانت مقيدة على مرّ العصور، فقد كانت الخطبة السياسية تختلط بالخطبة الدينية التي لا يملك المتلقي أثناءها إلاّ الصمت**»[1]، فالجمهور العربي لا يعرف الحرية السياسية التي تسمح له بتجاوب سلبي أو إيجابي مع المخاطب، بل كان دائما يعيش الصمت داخل الخطب السياسية.

أمّا السبب الثاني فهو ديكتاتوري الذي ذكره "أتكينسون" باعتباره من الأوائل الذين درسوا ظاهرة التصفيق إذ نفى وأقصى من مدونته المجتمعات الديكتاتورية، التي رآها مجتمعات لا تصفق بحكم الاضطهاد والتسلط، موضحا أنّ السبب يعود للحكام بمنعهم التصفيق حتى يظهر الولاء المطلق من شعبهم والتأكيد على سيطرتهم

1- عماد عبد اللطيف: لماذا لا يصفق المصريون؟، ص104.

التامة، إذ يقول "أتكينسون" «**الغاية لإلهام الجمهور، والفوز بالقبول الجماعي تكون أقل أهمية عندما يصبح السياسيون في موقع يتيح لهم الاحتفاظ بالسلطة لأنفسهم دون التورط في انتخابات حرّة**»[1].

هنا نتساءل لماذا لا يصفق جمهور تيزي وزو؟، هل لأنّه خطاب ديني وبالتالي يرى أنّ الخطاب بدعة غريبة يمنع منه في حضور الدين؟ أم أنّه جاء في حكم ديكتاتوري إذ يكون القمع على الجمهور يمنعه من التصفيق؟، نرى أنّ كل هذه الفرضيات التي وضعها البريطاني "أتكينسون" و"عماد عبد اللطيف" لا تنطبق على مجتمع تيزي وزو، لا لسبب ديني لأنّه معروف عن المنطقة تنوعها الديني، فنجد العلماني والسنّي، وليست إيران حتى نقول أنّها بدعة غربية، وليس الجمهور من الطبقة الكادحة ليس له وقت للتصفيق، فنراه منشغلًا في عمله لأنّ نحناح ذكر العمال والمتعلمين في خطابه، حيث كان هنا له تنوع في الحضور، وأيضا الخطاب لم يلقى في مجتمع ديكتاتوري، فلسنا في عهد ستالين. إذن لماذا لا يصفق جمهور تيزي وزو؟.

ثانيا– فخاخ التصفيق:

ككل خطبة سياسية تحمل فخاخ التصفيق لمراوغة الجمهور وإيقاعه في حبائل التصفيق، حيث «**ترتبط فخاخ التصفيق بطريق التعبير عن المعنى وطرق أدائه بدرجة أكبر من ارتباطها بالمعنى ذاته**»[2]، ففخاخ التصفيق هي فخاخ بلاغية وأدائية، حيث يرى "عماد عبد اللطيف" الاختلاف في البلاغة، وطرق الأداء يؤدي إلى اختلاف فخاخ التصفيق ذاتها وهو الأمر الذي نجده عند محفوظ نحناح في خطبته السياسية، موظفا مجموعة من الفخاخ التي سنذكرها كالتالي:

1 - Alkinson. M. (1984). Our Masters' Voices. The language and Body language of politics.london. Methuen. P.16.

2- عماد عبد اللطيف: لماذا لا يصفق المصريون؟ ص144.

– صمت قصير فور الانتهاء من العبارة:

فالمستمع لخطبته يلاحظ كثرة صمت نحناح بين عباراته بفترات زمنية مختلفة، حيث عرّفه "عماد عبد اللطيف" بأنّه «**قد يستجلب الخطيب التصفيق بواسطة الصمت لوهلة بسيطة بعد اكتمال عبارة أو جملة ما**»[1]، فبالرغم أنّ الصمت أداة لجلب التصفيق إلاّ انّه يبدو غير فعّال في خطبة نحناح، فنلاحظ عدم تصفيق الجمهور طيلة فترات سكوته عن الكلام تاركا فراغا مجهولا داخل القاعة.

– ذكر اسم شخص يحظى بتقدير الجمهور:

لم يتوقف نحناح عند فخ الصمت، بل تجاوزه إلى فخ آخر بذكره شخصية معروفة في الجزائر عامة وتيزي وزو خاصة على أمل شدّ غريزتهم المحبّة لهذا الشخص إنّه "حسين آيت أحمد"وقد ذكره نحناح في قوله "ونأكدوا ما ذهب إليه حسين آيت أحمد، وأنا نأكد الكلام تاعو لما قال لازم تكون هيئة مراقبة ..تكون هيئة مراقبة الدولة الحديثة[2]، رغم القدرة العالية التي يمتاز بها هذا الفّخ إلاّ أنّه لم يحدث تغييرا في حركة الجمهور واستجابته بالتصفيق خاصة وأنّ المذكور ابن جلدتهم، يكنّون له الاحترام.

– ثنائيات المقابلة:

جاء "أتكينسون" بثنائيات المقابلة التي يراها سببا في ثلث من تصفيق الجمهور والتي نجد نحناح وظّفها في عبارتين «**إثبات الهوية الباديسية لا الباريسية**»[3]، وعبارة «**راني في اختفاء السوق ماشي في اقتصاد**

1- عماد عبد اللطيف: لماذا لا يصفق المصريون؟، ص165.

2- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 8:40 إلى 9:20.

3- المصدر نفسه، الدقيقة: من 18:26 إلى 18:28.

السوق»[1]، هنا نحناح يحدث تمايز في العبارتين، ممّا يجعلهما بنغم جميل تحدث وقعا في المستمع الذي لم يعبّر عن إعجابه بها واكتفى بالصمت.

فهنا نرى أنّ كل الفخاخ التي استخدمها نحناح باءت بالفشل في تحريك أيدي الجمهور وإحداث إيقاعا حرا له.

نرى أنّ أساليب الجمهور التي جاء بها "عماد عبد اللطيف" في ظاهرة التصفيق داخل الخطاب السياسي محصورة في دلالة الغضب ودلالة الرفض ودلالة الفرح، جاعلا من التصفيق ردة الفعل الوحيدة التي تنتج من الجمهور، لكن ما نجده في خطاب نحناح غير ذلك، إذ كانت ردّة الفعل معاكسة له "صمت الجمهور" مما تركنا في تساؤلات ما هي دلالة الصمت في خطاب نحناح؟.

خيّم لصمت على الخطبة جاعلا من الجمهور صورة صامتة توحي بفرضيات كثيرة بحثا عن كشف السبب وما دلالة هذا الصمت غير العادي. يمكن أن نقول أن الجمهور حيادي اختار الصمت مبينا حياده للموضوع المطروح، حيث جاء ليستمع فقط فيأخذ ما يريد ويترك ما لا يريد، دون الحاجة لإظهار إن كان مؤيد أو رافض. أم لأنّ الخطبة حضرها فقط المثقفون، حيث لا يمكن استدراج المثقف بسهولة، فهو شخص واعي وبالتالي جاء ليستمع ويحلّل ويقرّر ما يناسه!!. أم يعود الأمر لطبيعة المنطقة التي يعرف سكانها بصعوبة إقناعهم من طرف رجال السياسة!!.

يتبيّن لنا أنّ التصفيق ليس الآلية الوحيدة لتعبير الجمهور في الخطبة السياسية، بل هناك آلية الصمت التي هي اختيار شخصي في حين قد يكون الاختيار إجباري تحت ضغوطات قهرية أو تخويفية، فتزامن خطاب نحناح مع فترة تاريخية خطيرة في الجزائر في فترة التسعينيات، وما فعله الإرهاب في الجزائر، أحدث رعب في الشعب

1- **محفوظ نحناح، خطبة بعنوان:** "دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"، الدقيقة: من 38:29 إلى 38:34.

وصارت الجزائر في مفترق الطرق، فلا يمكن أن تعرف من هو عدوك ومن هو حليفك؟، حيث كان الشعار السائد آنذاك **"من يقتل من؟"**، إذ وصف نحناح حالة الجزائر حينها وصفا دقيقا، حيث كان يعيش تيها واضحا فلا يعرف مع من؟ أو ضد من؟ لأنّ المسألة الأمنية وصلت إلى درجة خطيرة في الجزائر، فصار الجزائري يتوسط منطقة الأمان، لا ينتمي فيها لأيّ طرف باعتبار أنّه لا يعرف يبحث عن حقيقته الخاصة، فيفضل أن يصمت على أن يبدي رأيه، لأنّ أحيانا كثيرة مجرد تعبير عن رأيك هو إقرار بالجهة التي تنتمي إليها، لذلك اختار السكوت حفاظا على حياته لأنّه قد تكون الكلمة وسيلة إدانة وموت، فاختار الحياد عن الموت بالصمت.

أو ربما فقدان الجمهور لثقته في المخاطب على تأمين وحماية أرواحهم كانت كفيلة بالاكتفاء بفعل السمع فنحناح وقتها لا يمتلك أي سلطة سياسية يسخّرها في حمايتهم، خاصة وأنّه كان في فترة الكل خائف على روحه.

الخـــاتمة

الخاتمة

من خلال ما تطرقنا له في دراستنا حول التحليل النقدي للخطاب السياسي في خطبة محفوظ نحناح نصل إلى أهم النتائج المستخلصة في النقاط التالية:

1- التحليل النّقدي للخطاب مصطلح معاصر، متفرّع عن مجال دراسات وتحليل الخطاب، يُعنى أساس بدراسة اللّغة في علاقتها بالمؤسسات القائمة (السلطة).

2- التحليل النّقدي للخطاب مصطلح نقدي غربي النشأة كان من أهم من نظّر له وأسّس: كوين فان دايك، ونرومان فيركيف ، ورون فوداك.

3- على غرار المتعارف عليه بالنشأة الغربية للمصطلح التحليل النّقدي للخطاب إلاّ أنّ بحوث وجهود الدكتور عماد عبد اللّطيف، تكاد تجزم بأقدميّة تاريخ التحليل النّقدي للخطاب في السّاحة العربية على السّاحة الغربية.

4- التحليل النّقدي للخطاب كغيره من التخصصات النّقدية له مقاربات يتّبعها أثناء ممارسته تنحصر أهميتها في مقاربة فيركلف وفان دايك اللّتان اتخذتا الطابع الاجتماعي أثناء دراسة الخطاب وكذا مقاربة روت ووداك التي تجاوزت الظواهر الاجتماعية الفلسفي للنظرية النقدية.

5- يعدّ الخطاب السياسي شكلا من أشكال الخطابات، يتخذ من اللّغة والسياسة فضاء له، فهو يخص بذلك الجهات التي لها علاقة بالسياسة.

6- الخطابات نوعان منطوق ومكتوب، ويصنف خطاب الشيخ محفوظ نحناح ضمن الخطابات المنطوقة، التي تعتمد أساسا على الإلقاء الشفهي.

7- على غرار الخطب السياسية المتعارف عليها، استهل الشيخ محفوظ نحناح خطبته بمقدمة راقية شملت جميع الأقطاب بالترحيب، مستوفية لأهم ما جاء في هذه الخطبة، ملمة بذلك موضوعها الرئيس.

8- لم تخل خطبة الشيخ محفوظ نحناح من مختلف الأساليب البيانية والمعاني البلاغية، فقد تضمّنت الأدوات اللّغوية المساهمة في بناء خطاب منسجم، نجد من بينها الأساليب الإنشائية والخبرية والحذف وأدوات الربط وغيرها، ممّا حقّق لهذا الخطاب غايته ومقصديته.

9- اعتمد خطاب الشيخ محفوظ نحناح آليات حجاجية عدّة وأساليب إقناعية، منها ما هو لساني (الشكل اللغوي)، ومنها ما هو غير لغوي (فنون الأداء والإلقاء الصوتي)، وذلك كله من أجل تحقيق الغاية المرجوة من هذا الخطاب.

10- وظّف الشيخ محفوظ نحناح عناصر إشارية عدّة كان لها دور مهم داخل الخطاب، فمن هذه الإشاريات ما كشفت عن البعد التبليغي (الإشاريات الشخصية)، ومنها ما وجه دلالة الزمن (الإشاريات الزمانية)، ومنها ما قدّم وظائف توضيحية إحالية للأمكنة (الإشاريات المكانية)، ومنها كذلك ما كشف عن طبيعة العلاقة بين الملقي والمتلقي أثناء عملية التواصل (الإشاريات الاجتماعية).

11- جاءت الأمريات في الخطبة محل الدراسة على خلاف الخطب السياسية الأخرى على شكل متضمنات قول، إذ لم تكن مباشرة وكان هذا حسب ما اقتضاه موضوع الخطبة.

12- تنوعت أفعال الكلام في خطبة الشيخ محفوظ نحناح ما بين التحذيريات والاستفهاميات والنهييات وغيرها، وكلّ منها أدى وظيفته داخل الخطاب، فالاستفهاميات خلقت ذلك التعدّد الصوتي في حوار أحادي، والنهييات والتحذيريات أدت مقاصدها الدلالية بما يقتضيه الخطاب.

13- جاء خطاب الشيخ محفوظ نحناح مقيدا بمجموعة من العوامل والظروف الثقافية والاجتماعية والتاريخية، التي ساهمت في تشييده، وتعتبر الفترة الزمنية التي رسمت معالم هذا الأخير، والأوضاع التي عاشتها الجزائر آنذاك من أهم محدّدات سياق الخطاب.

14- ظاهرة الربط بين ما هو سياسي وما هو ديني متجلية في خطبة الشيخ محفوظ نحناح، وقد جاءت من أجل تصحيح الأفكار المغلوطة عن الإسلام والإسلاميين، مشيرا إلى أنّ الإسلام يدعو بالدرجة الأولى إلى كل القيم الإنسانية السامية التي من شأنها تنظيم أمور الدولة، مثل الحرية والديمقراطية والشورى.

15- يعدّ التناص من الآليات التي وظفها الشيخ محفوظ نحناح في خطابه، وتنوع التناصات بين التاريخي والديني كشف عن الخلفية الإيديولوجية للمخاطب الذي يتبيّن أنّه متشبّع بالثقافة الإسلامية، كما ونلحظ أنّ هذا التناص ساهم في تصحيح العديد من الأفكار المغلوطة سواء عن الدين الإسلامي، أو حول العمل السياسي، بالإضافة إلى هذا فإنّه عمل على كسر الروتين المهيمن على الخطبة.

16- تركّز بلاغة الجمهور على الاستجابات التي تنتج عن الجمهور وكيفية استخدامها لصالحه.

17- يمثّل التصفيق إحدى الاستجابات التي يستطيع الجمهور إنتاجها في سياق التفاعل المباشر مع خطاب المتكلم، والذي يحظى بأهمية كبيرة في التواصل السياسي.

18- لكل مخاطب أساليب وفخاخ تصفيقية يستخدمها في خطابها ليتفاعل الجمهور معه بالتصفيق.

الملاحـــق

نبذة عن الشيخ محفوظ نحناح:

ولد **محفوظ بن محمد نحناح** يوم 27 يناير 1942 في البليدة، نشأ على دراسة القرآن الكريم واللغة العربية على عدد من العلماء والأساتذة.

شارك محفوظ نحناح في ثورة التحرير وكان أحد فتيتها في البليدة إلى غاية 1962 وقد عاش فترة الثورة المسلحة بين المجاهدين، كما شارك في المظاهرات الشعبية الجماهرية إلى جانب الشهيد محمد بوسليماني ومحمد بلمهدي. لم يتجه محفوظ نحناح إلى المطالبة بالامتيازات والمكافآت التي طالب بها الكثيرون بعد الاستقلال.

بدأ محفوظ نحناح نشاطه الدعوي عام 1962 بمساجد العاصمة والبليدة، وفي سنة 1964 وضع محفوظ نحناح رفقة الشهيد بوسليماني اللبنة الأولى في الجزائر للجماعة بمساهمة بعض أساتذة الأزهر الشريف وجامعة عين شمس وبغداد وفلسطين.

التحق بالجامعة في الموسم الجامعي 1966م/1967م بعدما تحصل على شهادة البكالوريا، وسجل بمعهد اللغة والآداب وقد دفعه إلى هذا الاختيار عشقه للغة العربية التي لا تزال صورة من صور التحدي للتيار التغريبي

الفرنكفوني، تخرج عام 1970م بدرجة ليسانس في اللغة العربية ثم سجل بجامعة القاهرة قسم الدراسات العليا . تفسير.

ساهم مع إخوانه بالجامعة المركزية بالجزائر العاصمة في فتح مسجد الطلبة وهو أول من أم صلاة الجمعة به وحضر الصلاة 12 شخصاً منهم محمد بوسليماني، عبد الوهاب بن حمودة ومالك بن نبي...

كان في مقدمة المسيرات التي تطالب بالمحافظة على الشخصية الإسلامية للأسرة ومواجهة كل دعوة غربية.

حكم على نحناح عام 1975 م بالسجن لمدة 15 عامًا بتهمة تدبير انقلاب ضد نظام الحكم آنذاك هواري بومدين حيث عارض فرض النظام الاشتراكي بالقوة على المجتمع الجزائري؛ باعتباره خياراً لا يتماشى مع هوية ومقومات الشعب الجزائري العربي المسلم، ودعا إلى توسيع الحريات السياسية والاقتصادية. كان السجن فرصة ثمينة للاستزادة من العلم من جهة، ومراجعة الأطروحات الفكرية والسياسية من جهة ثانية، وقد تحول على يديه خلق كثير من السجناء عن الانحرافات السلوكية، وأصبحوا نماذج حسنة.

وجهت للشيخ عدة تهم نسبت مثلها للأنبياء والمصلحين فتنقل بين سجون عديدة وقام بنشاط إسلامي لم تعرف السجون مثله في تلك الفترة وخرج منها سنة 1980 ليواصل المسيرة .

تمكنت الحركة التي يترأسها نحناح من تحقيق مكاسب سياسية كبيرة؛ حيث شاركت بسبع حقائب وزارية في الحكومة السابقة، وتشارك بثلاث حقائب في الحكومة الحالية.

شارك محفوظ نحناح في عدة مؤتمرات وملتقيات دولية في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا تتعلق بقضايا الإسلام والغرب وحقوق الإنسان والديمقراطية .والتقى أثناء زياراته لهذه الدول بزعماء وكبار مسؤولي هذه الدول في كل من فرنسا، وإسبانيا، والسويد، والولايات المتحدة، وألمانيا، والمملكة المتحدة، وإيطاليا، وسوريا، والأردن، والسعودية، والسودان، وقطر، والكويت، والمغرب، وليبيا، وغيرهم من الدول.

من أهم الأطروحات التي دافع عنها نحناح: الشورى، الديمقراطية، التطور، التسامح، التعايش، الاحترام المتبادل، احترام حقوق الإنسان، مشاركة المرأة في مجالات الحياة، احترام حقوق الأقليات، حوار الحضارات، توسيع قاعدة الحكم، والتداول السلمي على السلطة، احترام الحريات الشخصية والأساسية، الوسطية والاعتدال وأخيرا تجسير العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

أدان رئيس حزب حركة مجتمع السلم، العنف والإرهاب وكل مظاهر الغلو في الدين منذ بداياتها، واعتبرها غريبة عن الإسلام والمسلمين، وكرس مشواره الدعوي منذ أكثر من 3 عقود في الدفاع عن العقيدة الصحيحة وقيم الوسطية والاعتدال، ورأى أن الخطأ الكبير الذي ارتكبته السلطة لا يعالَج بخطأ حمل السلاح، وجز الرقاب، وثقافة التدمير والحقد.

دفعت حركته ضريبة غالية وهي اغتيال أكثر من 500 من إطاراتها وأنصارها، من بينهم الشيخ محمد بوسليماني، كما أن له مواقف واضحة من الاشتراكية والعلمانية والجهوية والصهيونية وقضية فلسطين وأفغانستان .أُلفت عنه عدة مقالات تعبر عن أفكاره، منها: "رجل الحوار"، و"خطوة نحو الرئاسة"، بالإضافة إلى مساهماته الثقافية في مختلف المجلات والجرائد العربية والملتقيات الوطنية والدولية والحوارات الإسلامية المسيحية في إيطاليا والسويد.

مؤلفاته:

- أصدر نحناح كتابه الأول تحت عنوان "الجزائر المنشودة.. المعادلة المفقودة: الإسلام.. الوطنية.. الديمقراطية."
- صاغ بيان التجمع الإسلامي الكبير 1980.
- نظم أول مهرجان إسلامي 1988.
- نادى بإنشاء رابطة تجمع كل الدعاة من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية 1989.
- أول من ترأس جمعية الإرشاد والإصلاح.1990

- أول رئيس لحركة المجتمع الإسلامي 1991 بالأغلبية ثم بالتزكية.
- أمضى وثيقة ترفض التنازل عن أي شبر من فلسطين مع العديد من العلماء.
- شارك مع وفد العلماء الذي توجه إلى بغداد.
- أول زعيم حركة إسلامية يترشح لرئاسة الجمهورية.

كان **محفوظ نحناح** رئيس حركة مجتمع السلم الجزائرية خلفه أبو جرة سلطاني لعهدتين متتاليتين ثم عبد الرزاق مقري منذ المؤتمر الخامس سنة .2013 رجل الوسطية في الإسلام السياسي بالجزائر .لا يؤمن بالعنف ويميل إلى الوسطية والاعتدال وفاز نحناح بالمركز الثاني في الانتخابات الرئاسية عام 1995م وحصل على ما يزيد على 3 ملايين صوت. توفي في يوم 19 جوان 2003.

وفاته:

توفي عن عمر يناهز 61 عاما، بعد صراع مع المرض تواصل قرابة عام، كان فيه يتردد على عدة مستشفيات عربية وأوروبية، قبل أن يستقر في المستشفى الأمريكي في باريس.

كان قد عاد من آخر رحلة استشفائية له، بعد أن نصح الأطباء أهله بإعادته إلى الجزائر لقضاء ما بقي له من أيام حياته. وكان مسكنه في مقر إقامة الدولة بنادي الصنوبر، طيلة أيام المرض مزارا لمسؤولين كبار في الدولة ولقيادة ونواب حزبه وشخصيات سياسية ووطنية كثيرة. وقال بعض من زاروه إن حالته كانت «متدهورة جدا»، ولم يكن بإمكانه أن يعي ما يجري حوله، بعد أن نال منه سرطان الدم ووصل به إلى آخر مراحله. وقد توفي في 19 يونيو 2003 على الساعة الثانية والنصف بعد ظهر في بيته. وكان الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة قد زاره في المستشفى الأميركي بباريس، عندما كان في العاصمة الفرنسية لمقابلة الرئيس جاك شيراك.

نبذة عن الدكتور عماد عبد اللطيف:

البيانات الشخصية:

الاسم: عماد علي عبد اللطيف علي **اسم الشهرة:** عماد عبد اللطيف **الجنسية:** مصري

تاريخ الميلاد: 1973/01/21 **الحالة الاجتماعية:** متزوج، ولديه ثلاث فتيات

عنوان العمل: قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، 2713، الدوحة، قطر

البريد الإلكتروني: emad.abdullatif@qu.edu.qa **الهاتف الجوال:** 0097466331622

الدرجة العلمية: أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب (بروفيسور)

الموقع العلمي على أكاديميا: https://qu.academia.edu/EmadAbdullatif

الموقع العلمي على جوجل سكولار:

https://scholar.google.com/citations?user=FqneSGMAAAAJ&hl=en

(H-index 4، مجمل استشهادات 151).

الموقع على أوركيد: https://orcid.org/0000-0002-2180-4142

الموقع على ريسيرش جيت: https://www.researchgate.net/profile/Emad-Abdul-Latif

المؤهلات الدراسية:

- أستاذ البلاغة والنقد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، يوليو 2019.
- أستاذ مشارك البلاغة والنقد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، مارس 2017.
- أستاذ مساعد (مشارك) البلاغة والنقد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، يوليو 2014.
- دكتوراه البلاغة والنقد (التخصص الدقيق: البلاغة السياسية وتحليل الخطاب)، من قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة بإشراف مشترك مع قسم اللسانيات بجامعة لانكستر البريطانية. موضوع الرسالة: "**البلاغة السياسية: تحليل لمختارات من الخطب السياسية للرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات (1970–1981)**"، بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطباعة الرسالة على نفقة جامعة القاهرة، وتبادلها بين الجامعات، ديسمبر 2008.
- ماجستير البلاغة والنقد من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة القاهرة، في موضوع "**الالتفات في البلاغة العربية: الأصول النظرية والممارسة التطبيقية**"، بتقدير ممتاز، 2003.
- ليسانس الآداب من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة القاهرة، تقدير عام جيد جدا، 1998.
- ليسانس الآداب والتربية، من قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة القاهرة (فرع الفيوم)، تقدير جيد، 1995.
- باحث زائر بجامعة لانكستر البريطانية في العامين الجامعيين 2006–2007 - 2007–2008، في بعثة إشراف مشترك بين جامعة القاهرة وجامعة لانكستر.
- أستاذ زائر في مركز الدراسات الإسلامية بجامعة كمبريدج، 2014.

كتب مؤلَّفة منفردًا:

1. **عبد اللطيف، عماد.** (2021). **البلاغة العربية الجديدة: مسارات ومقاربات.** دار كنوز المعرفة، عمّان، الطبعة الثانية.
2. **عبد اللطيف، عماد.** (2020). **تحليل الخطاب السياسي: البلاغة، السلطة، المقاومة.** دار كنوز المعرفة، عمّان.
3. **عبد اللطيف، عماد.** (2015). **الخطابة السياسية في العصر الحديث: المؤلف، الوسيط، الجمهور.** دار العين، القاهرة. http://alrai.com/article/696507.html

4. **عبد اللطيف، عماد.** (2014). ***تحليل الخطاب البلاغي: دراسة في تشكل المفاهيم والوظائف***. دار كنوز المعرفة، عمّان، الأردن. http://www.youtube.com/watch?v=oqbPjyZg8sI

5. **عبد اللطيف، عماد.** (2013). ***بلاغة الحرية: معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة***. دار التنوير، بيروت–القاهرة، تونس.
http://www.alittihad.ae/details.php?id=11022&y=2013&article=full

6. **عبد اللطيف، عماد.** (2012). ***استراتيجيات الإقناع والتأثير في الخطاب السياسي***. الهيئة العامة للكتاب، القاهرة. http://www.alquds.co.uk/?p=46982

7. **عبد اللطيف، عماد.** ***البلاغة والتواصل عبر الثقافات***:

- الطبعة الأولى: (2012). سلسلة كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
- الطبعة الثانية: (2018). دار شهريار، العراق.

8. **عبد اللطيف، عماد.** (2009). ***لماذا يصفق المصريون؟ بلاغة التلاعب بالجماهير في السياسة والفن***. (2009). دار العين، القاهرة.

http://www.youtube.com/watch?v=GdDMpC92JyE

http://www.alrai.com/article/445088.html

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا– المصادر:

1. محفوظ نحناح، خطبة بعنوان: **"دور الحريات السياسية في بناء الدولة الحديثة"**، تيزي وزو– الجزائر، 21 أكتوبر 1993، انظر الموقع الالكتروني على قناة اليوتيوب:

https://www.youtube.com/watch?v=0F5aVY_xe2Y&ab_channel=hmstlemcen

تاريخ النشر: 21 مارس 2018، آخر تحديث: 01 أوت 2022. على الساعة: 16:00سا

ثانيا– المعاجم والقواميس:

1. جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري: لسان العرب، تح: عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، دت.

2. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، الجزء الأوّل: الخاء، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

3. عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، تح: مزيد نعيم، شوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

4. محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة دراسة ومعجم إنكليزي عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، ط3، 2003م.

5. محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، دار الكتب المصرية، مصر، 1943م.

6. أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية، ج1، تر: خليل أحمد خليل وأحمد عوينات. منشور عوينات، بيروت، 1996م.

7. Jean Dubois : Dictionnaire de Linguistique et des Science du Langage, La Rousse, 2eme Edition, 1999.

8. Y.A.El- Ezabi and A.S.Hormby and E.C. Parnwell, Oxford Englich Arabic Reader's Dictionary, Oxford University, Press, 1980, Edition : 11.

ثالثا– المراجع:

1– الكتب باللغة العربية:

1. الأزهري أبو منصور: تهذيب اللّغة، تح: محمد عوض، ج12، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

2. بسام عبد الرحمن المشاقبة: مناهج البحث الإعلامي وتحليل الخطاب، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، د ط، 2014م.

3. جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشّعر الجزائري المعاصر، رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، 2003م.

4. خليفة بوجادي: في اللّسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، ط1، 2012م.

5. سعيد يقطين: تحليل الخطاب الرّوائي "الزمن، السرد، التبئير"، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1989م.

6. صابر سعيد بقور: داعش برؤية الجزيرة عبر الفيس بوك الخطاب وانماط الوعي الجماهيري، دار الخليج، الأردن، ط1، 2017م.

7. عماد عبد اللطيف: لماذا لا يصفق المصريون؟، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 1430هـ/2009م.

8. محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطاب العربيّة، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2002م.

9. محمد يطاوي وآخرون: التّحليل النّقدي للخطاب مفاهيم ومجالات وتطبيقات، المركز الدّيمقراطي العربي للدّراسات الإستراتيجية والسّياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، ط1، 2019م.

10. محمود عكاشة: لغة الخطاب السّياسي، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 1426هـ/2005م.

11. منية عبيدي: التّحليل النّقدي للخطاب نماذج من الخطاب الإعلامي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1437هـ/ 2016م.

2- الكتب المترجمة:

1. أوليفير يبول: لغة التربية الخطاب البيداغوجي، تر: عمر أوكان، أفريقيا الشرق، القاهرة، 2002م.

2. بول ريكور: نظرية التأويل وفائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2016م.

3. تورمان فيركلف: اللّغة والسّلطة، تر: محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016م.

4. ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللّغة، تر: كمال بشر دار غريب، القاهرة، ط1، 1962م.

5. فان دايك: الخطاب والسّلطة، تر: غيداء العلي، مركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014م.

6. ميشال فوكو: إدارة المعرفة، تر: مطاع صفدي، جورج أبي صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1990م.

7. نورمان فيركلاف: تحليل الخطاب التحليل النّصي في الخطاب الاجتماعي، تر: طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ط1، 2009م.

3- الكتب باللغة الأجنبية:

1. Alkinson, M, (1984), Our Masters' voices, The language and body language of politics, London, Methuen.

2. Marianne Jorgensen Louis Philips, Discourse Analysis as theary and method. SAGE, publications, First publishd, London _thousand Oaks_ New Delhi, 2008.

3. Vandijk, Critical Discourse Analysis, the hand Book of Discourse Analysis, Edited by Debovah Tanned and heidie, haurilton, beack well publishers ltd, vsa,vk,2001.

4. Wedak ruth and Michael Mayer, Methods of Critical Discouvse Avalysis, SAGE Publication, London, 2001.

رابعا– المجلات:

1. آلن غولد سليفر: نحو سيمياء الخطاب السّلطوي، تر: مصطفى كمال، مجلّة الشعريّة اليوم، بيت الحكمة، عدد 5، 1987م.

2. حميد الزيتوني: التّحليل النّقدي للخطاب السّياسي الأمريكي _خطاب دونالد ترامب إلى العالم الإسلامي نموذجا_، مجلة خطابات، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدّراسات، الجمهورية الجزائرية، عدد 4، 2021م.

3. الحواس بلخيري: الخطاب المنطوق والخطاب المكتوب من منظور تداولي، مجلة الممارسات اللّغويّة، مخبر الخطاب الحجاجي، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، عدد 2، جوان 2021م.

4. سعيد بكار: التّحليل النّقدي للخطاب: مفهومه ومقارباته، مجلّة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، تيزي وزو، الجزائر، العدد 2، جوان 2021.

5. صوفان محمد: قراءة تقديمية لمضامين فصل: المقاربة التّاريخيّة للخطاب "مارتن رايزنجل وروث فوداك" من كتاب مناهج التّحليل النّقدي للخطاب، مجلة الخطاب والتواصل، مجلة علمية محكمة، مخبر الخطاب التّواصلي الجزائري الحديث، عين تيموشنت، الجزائر، عدد 8، نوفمبر .

6. عائشة قرة: الحجاج في الخطاب السّياسي لدى الأحزاب السّياسية _قراءة في المفهوم وبحث في الآليات والاستراتيجيات_، المجلة الجزائرية للدّراسات السّياسية، عدد1، 2020م.

7. عبد السلام المسدّي: اللذغة والسّياسة، جريدة الرّياض، عدد 13478، 19 ماي 2005م.

8. عماد عبد اللطيف: "بيان التنحي" وذاكرة الهزيمة: مدخل بلاغي لتحليل الخطاب السياسي،

Alif, Jrounal of Comparative POETICS, N°30, 2010.

9. عماد عبد اللطيف: تحليل الخطاب بين بلاغة الجمهور وسيميائية الأيقونات الاجتماعية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، العدد84/83، خريف/شتاء، 2012-2013م.

10. عماد عبد اللطيف: حروب بلاغية: مناورات خطاب السلطة في ساحة الثورة، مجلّة خطابات، مجلة محكمة نصف سنوية تعنى بدراسات الخطاب، مركز المدار المعرفي للأبحاث والدراسات، الجمهورية الجزائرية، العدد03، يونيو2021م.

11. عماد عبد اللطيف: من الوعي إلى الفعل _مقاربات معاصرة في مقاومة الخطاب السّلطوي_، مجلة ثقافات، مجلة علمية تعنى بالدّراسات الثقافية، كلية الآداب، جامعة البحرين، عدد 22، 2009م.

خامسا– الرسائل والأطروحات الجامعية:

1. يعقيل كمال: دراما الاتّصال في الخطاب السياسي الفيلمي _مقاربة سيميائية تداولية لنماذج الخطاب السّياسي الفيلمي_، مذكرة ماجستير، قسم علوم الإعلام والاتّصال، إشراف: عمار يزلي، جامعة وهران، 20111م/2012م.

سادسا– المداخلات والملتقيات العلمية والمؤتمرات:

1. رشيد عمران: مسارات التحول من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص –قراءة في بدايات ودواعي التأسيس والمساهمات العربية في اللّسانيات النصية–، مؤتمر لسانيات النّص وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013م.

2. عدنان ثامر: لسانيات النّص وتحليل الخطاب، -مفاهيم وأبعاد-، كلية الآداب واللّغات، قسم اللّغة والآداب العربي، مسيلة، الجزائر، دت.

3. عماد عبد اللطيف: بلاغة المخاطب: البلاغة العربية من إنتاج الخطاب السلطوي إلى مقاومته، الملتقى الدولي، العدد الثامن، 23-24نوفمبر، قسم الأدب واللغة الإنجليزية.

سابعا- المواقع الإلكترونية:

1. www.alaraby.co-uk.

فهرس المحتويـــات

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
شكر	-
إهداء	-
مقدمة	أ-د
مدخل	36-6
أولا– من الجملة إلى لسانيات النّص.	6
ثانيا– مفهوم تحليل الخطاب.	8
ثالثا– التّحليل النّقدي للخطاب.	17
رابعا– مفهوم الخطاب السيّاسي.	32
الفصل الأول: آليات التشكيل اللّغوي والبلاغي في خطبة "محفوظ نحناح"	61-38
المبحث الأوّل: الصياغة البلاغية للخطاب السياسي.	39
أولا– المقدمة الاستهلالية وفن الإلقاء للخطبة السياسية.	39
ثانيا– بلاغة المخاطب وجمالية اللغة في الخطاب السياسي.	41
المبحث الثاني: حجاجية الخطاب السياسي وأساليب الإقناع.	49
أولا– سلطة المخاطب (المخاطب المهيمن).	50
ثانيا– التضمين الإشاري والغطاء العاطفي في الخطاب السياسي.	53
1– الإشاريات الشخصية.	53
2– الإشاريات الزمانية.	54
3– الإشاريات المكانية.	55
4– الإشاريات الاجتماعية.	56
ثالثا– أفعال الكلام ومتضمنات القول في الخطاب السياسي.	57
1– الأمريات وأسلوب التوجيه الجماهيري.	57
2– التحذيريات وتأطير المقام والحجج.	58
3– البوحيات وقوة التأثير الجماهيري.	59
4– الاستفهاميات وإدارة الحوار الخطابي.	60
الفصل الثاني: إستراتيجية البناء الخطابي السياسي عند "محفوظ نحناح"	84-63
المبحث الأول: الظواهر الخطابيّة في الخطاب السياسي.	64

أولا– سياق الخطاب السياسي وحدود التلقي.	64
ثانيا: ظاهرة المزج بين الديني والسياسي في الخطاب.	68
ثالثا– ظاهرة التناص في الخطاب السياسي:	73
المبحث الثاني: بلاغة الجمهور.	77
أولا– لماذا لا يصفق الجمهور؟	79
ثانيا– فخاخ التصفيق.	81
الخاتمة	86
الملاحق	90
قائمة المصادر والمراجع	98
فهرس المحتويات	105
ملخص	/

الملـخّـص

الملخص

الملخص:

يهدف عملنا هذا إلى تحليل خطاب سياسي للشيخ "محفوظ نحناح"، وذلك وفق آليات التحليل النّقدي للخطاب، ملمّين بذلك بكلّ جوانب هذا المصطلح النّقدي، من أصوله النّظرية وأسسه المعرفية، منتقلين بعد ذلك إلى أغوار هذا الخطاب وتحليل معطياته، من أجل استكناه أهّم قضاياه وإستراتيجياته، وفق دراسة بينية لكشف كلّ ما هو مضمر داخل الخطاب.

الكلمات المفتاحية:

تحليل الخطاب، التّحليل النّقدي للخطاب، بلاغة الجمهور، الخطاب السيّاسي.